ساندیتون

Sanditon

جين أوستن

تعريب:

الأمجد العثماني

كتوباتي
kotobati

ساندیتون

Sanditon

(رواية غير مكتملة لجين أوستن)

Jane Austen

ترجمها من الفرنسية:

الأمجد العثماني

الكتـــــــــــاب: ساندیتون

تـــــــــــأليف: جين أوستن

ترجمـــــــــــة: الأمجد العثماني

النوعيـــــــــــة: رواية

الإصـــــدار الاول: 1817م

صدر عن كتوباتي: 2024م

التنسيق والتصميم: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المترجم.

الفهرس

تقديم 4
ملخص الحبكة 6
الشخصيات 8
ساندیتون 10
الفصل الأول 12
الفصل الثاني 25
الفصل الثالث 32
الفصل الرابع 40
الفصل الخامس 50
الفصل السادس 58
الفصل السابع 68
الفصل الثامن 83
الفصل التاسع 89
الفصل العاشر 100
الفصل الحادي عشر 115
الفصل الثاني عشر 121

تقديم

تكتب بعض الصفحات والمواقع وخاصة منها " ويكيبيديا" الموسوعة الحرة: إنّ"رواية "ساندیتون" (1817) هي آخر روايات جين أوستن - التي لم تكتمل - والتي كانت في الأصل بعنوان "الأخوان"، في إشارة بلا شك إلى الأخوين باركر. بعد وفاتها، غيرت عائلة جين أوستن العنوان إلى ساندیتون. لم يُنشر النص الكامل للكتاب حتى عام 1925. كُتبت الرواية عندما كانت جين أوستن مريضة للغاية - توفيت بعد أربعة أشهر من توقفها عن العمل على روايتها - وقدمت ساندیتون عددًا من الموضوعات الجديدة في عمل المؤلفة، والتي لم تتمكن من تطويرها حتى النهاية. يتناقض أسلوبها بشكل حاد مع رواية جين أوستن السابقة "الإقناع" التي كانت تتسم بنبرة أكثر جدية، بينما عولجت رواية ساندیتون بطريقة هزلية شبه كاريكاتورية.

بدأت جين أوستن في كتابة رواية "ساندیتون" في يناير 1817، لتتوقف في 18 مارس 1817 لأنها كانت مريضة جداً لدرجة أنها لم تستطع الاستمرار في الكتابة. ويُعتقد أنها توفيت بعد أربعة أشهر بالضبط، في 18 يوليو

1817، ضحية لمرض أديسون، كما يُعتقد. لم يُنشر النص الكامل لرواية ساندیتون حتى عام 1925، وفقاً للنسخة التي جمعها ر. و. تشابمان من المخطوطة.

لذلك كانت رواية ساندیتون هي روايتها الأخيرة التي لم تكتمل (كتبت حوالي خمسين صفحة)، على الرغم من أنها لم تعد قادرة على تجاهل حقيقة أنها كانت مريضة للغاية. لذلك قد يكون ظهور ثلاثة أشخاص مصابين بالوسواس المرضي (شقيقتا السيد باركر وشقيقه آرثر)، ذوي الخيال المفرط في النشاط، والذين تم التعامل معهم بطريقة خفيفة تكاد تكون كاريكاتورية، قد يكون مفاجئًا. وترى مارغريت درابل أنها "امرأة محتضرة تعالج موضوع المرض بطريقة مسلية وساخرة"، خاصة وأن والدة جين أوستن، كاساندرا أوستن (المولودة لي)، كانت هي نفسها مصابة بالوسواس المرضي، رغم أنها عاشت أكثر من ابنتها بعشر سنوات.

ملخص الحبكة

انتقل آل باركر الذين يعيشون في ساندیتون الحديثة (ساندیتون الحديثة، كما تسميها جين أوستن)، من "البيت القديم"، منزل أجدادهم، ويتطلعون إلى تطوير بلدة ساحلية جديدة عصرية.

يبدو أن بلدة ساندیتون الخيالية مستوحاة من ثلاثة أماكن حقيقية: ورثينغ، حيث مكثت جين أوستن لأكثر من شهر، من 18 سبتمبر إلى 4 نوفمبر 1805، في الوقت الذي بدأ فيه المنتجع بالتطور في عهد مواطنها الأول إدوارد أوجل؛ وإيستبورن وبوغنور ريجيس ("هوثامتون") التي كانت تمتلك بالفعل، كما في الرواية، مكتبة في ذلك الوقت ويمكن التعرف عليها في العديد من أوصاف ساندیتون الخيالية.

وبدلاً من أن تكون هذه المدينة الصغيرة واقعًا ملموسًا، فهي في الواقع حلم مثالي لبعض السكان مثل عائلة باركر. في الواقع، لديهم تصور معين لهوية البلدة، وكيف ينبغي أن تكون هذه الهوية معروفة ومقدرة من قبل العالم، كما يتضح من الطريقة التي يقدم بها السيد باركر نفسه في بداية الرواية:

"ربما يكون اسمي... غير معروف على هذه المسافة من الساحل - ولكن ساندیتون نفسها - سمع الجميع عن ساندیتون - المكان المفضل - كمكان استحمام شاب وواعد، وبالتأكيد البقعة المفضلة من بين جميع الأماكن التي يمكن العثور عليها على طول ساحل ساسكس؛ - الأكثر تفضيلاً من قبل الطبيعة، والأكثر وعداً بأن يكون الأكثر اختياراً من قبل الإنسان."
(ساندیتون، الصفحات الأولى)

يبذل مستر باركر قصارى جهده للنهوض بالبلدة الصغيرة، تساعده في ذلك أخته ديانا، تحت عين الآنسة شارلوت هيوود العقلانية جداً التي دعاها لقضاء بعض الوقت معه لتستمتع بجمال البلدة والآثار المفيدة للمناخ.

وشيئاً فشيئاً تتطور القصة بوصول شخصيات جديدة تباعاً: الليدي دنهام والسير إدوارد، ثم شقيقات السيد باركر وأخوه آرثر، ثم السيدة غريفيث والآنسة لامب وفتيات بوفورت، وأخيراً سيدني الأخ الآخر للسيد باركر.

الشخصيات

يفتتح السيد باركر الرواية بتعرضه لحادث سيارة أثناء بحثه عن جراح مستعد للاستقرار في ساندیتون. أراد أن يكون قادرًا على طمأنة السكان المستقبليين الذين يعانون من تدهور صحتهم بإمكانية علاجهم في الحال. إنه متفائل عنيد يتخيل مستقبلًا رائعًا للمنتجع الساحلي الصغير المبهر الذي يحلم به. ومن المحتمل أن تكون هذه الشخصية مستوحاة من السير ريتشارد هوثام (1722-1799)، وهو رجل أعمال جمع ثروته من تجارة الهند الشرقية قبل أن يصبح مطورًا عقاريًا. السيدة ماري باركر، زوجته، وهي تفتقر إلى الحس السليم والسلطة لكبح أحلام زوجها.

أنقذ السيد هيوود هو وعائلته السيد باركر عندما أصيب بالتواء في حادث سيارة، مما اضطره للبقاء مع عائلة هيوود حتى تعافى تمامًا. الآنسة شارلوت هيوود هي الابنة الكبرى في عائلة هيوود، تبلغ من العمر 22 عامًا، وتتمتع بحس سليم. اصطحبها السيد باركر معه بعد أن شفي كاحله، ليريها ساندیتون. وعلى الرغم من أنها تبلي بلاءً حسناً، إلا أن السيد باركر

يصطحبها إلى المحطة "لتستحم وتصبح أكثر صحة إذا استطاعت"، وكذلك لشراء جميع أنواع الحلي لأخواتها من "مكتبة ساندیتون المتداولة."

الليدي دنهام التي كانت تُعرف سابقًا بالآنسة بريتون، هي أرملة ثرية تبلغ من العمر 70 عامًا اكتسبت لقبها من زواجها الثاني. وقد استضافت كلارا بريتون، وهي قريبة شابة فقيرة. السير إدوارد دنهام وشقيقته إستر هذان هما ابنا شقيقة الليدي دنهام. السير إدوارد شاب ساحر، ولكن لديه نزعة مزعجة لإلقاء الخطب المنمقة عن الشعر. ناهيك عن رؤيته لوفليس كمثل أعلى للرجولة، بعد تعرضه الطويل جداً لأعمال صامويل ريتشاردسون. السيد سيدني باركر شقيق السيد باركر الذي يعلن أنه أكثر أفراد العائلة ذكاءً.

أما الآنسة ديانا باركر، والآنسة سوزان باركر، والسيد آرثر باركر شقيق السيد باركر وشقيقته، فثلاثتهم مصابون بالوسواس القهري ويمارسون العلاج الذاتي المفرط. السيدة غريفيث تمثل عائلة ثرية من الهند الغربية، وهي زائرة لساندیتون ينتظرها السيد باركر بفارغ الصبر، إذ من المرجح أن تساعد المنتجع الساحلي الصغير على تحقيق الشهرة التي يستحقها".

الأمجد العثماني

ساندیتون

بقلم جين أوستن

كان ساندیتون آخر عمل كتبته جين أوستن ولم يكن قد اكتمل وقت وفاتها في 18 يوليو 1817.

"المخطوطة غير المعنونة المكتوبة بخط يد جين أوستن، هي مسودة عمل روائي كبير ومتطور. يبلغ مجموع كلماتها... حوالي 24,000 كلمة، وربما خُمس رواية مكتملة... قدم جيمس إدوارد أوستن لي ملخصاً ومقتطفات من المخطوطة، تحت عنوان "العمل الأخير"، في الطبعة الثانية من مذكرات جين أوستن (1871)، ونشر ر. و. تشابمان أول نسخة كاملة تحت عنوان جزء من رواية في عام 1925. ومع ذلك يبدو أن "ساندیتون" كان لقبًا غير رسمي مستخدمًا داخل عائلة أوستن على الأقل منذ منتصف القرن التاسع عشر فصاعدًا. نُشرت طبعة ورقية بالفاكس للمخطوطة في عام 1975، مع مقدمة بقلم ب. س. ساوثام".

رواية "ساندیتون" لجين أوستن متاحة للعامة. بدأت جين أوستن كتابة الرواية في عام 1817، لكنها لم تكملها قبل وفاتها في العام نفسه. وقد نُشر النص الكامل لرواية ساندیتون لأول مرة في عام 1925، مما يجعلها تتجاوز السبعين عامًا بعد وفاة المؤلفة التي تدخل بعدها الأعمال عمومًا في المجال العام.

الفصل الأول

كان رجل نبيل وسيدة مسافرين من تونبريدج نحو ذلك الجزء من ساحل ساسكس الذي يقع بين هاستنجز و إيستبورن، وقد حملهما العمل على ترك الطريق السريع وسلوك ممر صعب جداً، فانقلبا في تراكم صعوده الطويل، نصفه صخري ونصفه رملي. ووقع الحادث وراء منزل السيد الوحيد القريب من الممر - وهو المنزل الوحيد الذي كان سائقهم قد عزم في البداية على أن يسلك هذا الاتجاه مضطراً إلى سلوكه في البداية ليكون بالضرورة هدفاً لهم، واضطر بنظرات مترددة إلى المرور. وكان قد نخر وهز كتفيه وصاح وجر خيوله بقوة حتى أنه كان يمكن أن يكون عرضة لشبهة دهسهم (خصوصاً وأن العربة لم تكن له) لولا أن الطريق قد أصبح بلا شك أسوأ من ذي قبل، بمجرد أن تركوا وراءهم مباني المنزل المذكور - معبراً بوجه أكثر تحملاً عن أنه لا يمكن أن تسير وراءه عجلات غير عجلات العربة بأمان. وكانت شدة السقوط قد انكسرت بسبب بطء سيرهما وضيق المسلك؛ وبعد أن تدافع الرجل النبيل وساعد رفيقه، لم يشعر أي منهما في البداية بأكثر من الاهتزاز والرضوض. ولكن الرجل النبيل كان قد داس بقدمه في أثناء الاستخراج -

وسرعان ما أحس بذلك واضطر في بعض اللحظات إلى قطع توبيخه للسائق وتهنئته لزوجته ولنفسه - والجلوس على الضفة غير قادر على الوقوف وقد كسر شدة السقوط بطء سيرهم وضيق المسلك؛ وبعد أن تدافع الرجل النبيل وساعد رفيقه لم يشعر أي منهما في البداية بأكثر من الاهتزاز والرضوض. ولكن الرجل النبيل كان قد داس بقدمه في أثناء الاستخراج - وسرعان ما أحس به الرجل، واضطر في بعض اللحظات أن يقطع توبيخه للسائق وتهنئته لزوجته ولنفسه - ويجلس على الضفة غير قادر على الوقوف. قال واضعاً يده على كاحله: "هناك خطب ما هنا". " ولكن لا تهتمي يا عزيزتي - " ونظر إليها مبتسماً " لم يكن من الممكن أن يحدث هذا في مكان أفضل من هذا المكان - بعيداً عن طريق الأذى. الشيء نفسه الذي قد نتمناه. سنحصل على الراحة قريباً هناك، على ما أظن، يكمن علاجي." مشيراً نحو النهاية الأنيقة للكوخ الذي كان يبدو رومانسياً بين الغابة على قمة مرتفعة على مسافة قصيرة "ألا يعد هذا المكان بالخير؟

وكانت زوجته تتمنى ذلك بشدة؛ ولكنها وقفت مذعورة قلقة لا تستطيع أن تفعل شيئاً ولا أن تقترح شيئاً، وكان أول ما يريحها أن ترى عدة أشخاص قد هبوا لنجدتهم .

وكان الحادث قد وقع في حقل قش مجاور للمنزل الذي مروا به. وكان الأشخاص الذين اقتربوا من المكان رجل وسيم في منتصف العمر، وهو صاحب المكان، وقد تصادف أن يكون من بين صانعي القش في ذلك الوقت، وثلاثة أو أربعة من أقدرهم استدعوا لمساعدة سيدهم - ناهيك عن بقية الحقل من رجال ونساء وأطفال، غير بعيد.

وتقدم السيد هيوود، هكذا كان اسم المالك المذكور، بتحية مهذبة جداً، وبكثير من الاهتمام بالحادث، وبشيء من الاستغراب أن يحاول أحد أن يسلك هذا الطريق بعربة، وبعرض المساعدة الجاهزة. وقوبلت مجاملاته بحسن خلق وامتنان، وبينما كان واحد أو اثنان من الرجال يقدمان المساعدة للسائق في إعادة العربة إلى وضعها المستقيم، قال المسافر: (إنك في غاية اللطف يا سيدي وأنا أعتبر كلمتك في كلامك. أجرؤ على القول بأن الإصابة في ساقي تافهة جداً. ولكن من الأفضل دائماً، في مثل هذه الحالات، أن يستشير الجراح دون إضاعة الوقت؛ وبما أن الطريق لا يبدو في حالة مواتية لأصعد بنفسي إليه، فسأشكرك على إرسال أحد هؤلاء الناس الطيبين للجراح ."

"الجراح يا سيدي!" صاح السيد هيوود. "أخشى أنك لن تجد جراحاً في متناول اليد هنا، ولكنني أجرؤ على القول بأننا سنكون بخير بدونه."

"لا يا سيدي، إذا لم يكن في الطريق، فإن شريكه سيؤدي عمله بنفس الكفاءة، أو بالأحرى أفضل. أفضل رؤية شريكه. في الواقع أنا أفضل وجود شريكه .

يمكن لأحدهما أن يكون معه في ثلاث دقائق، أنا متأكد من ذلك. ولست في حاجة إلى أن أسأل إذا رأيت المنزل" (ناظراً نحو الكوخ) "لأنه باستثناء منزلك، لم نقض في هذا المكان أي شيء يمكن أن يكون مسكناً لرجل نبيل ."

فبدا السيد هيوود مندهشاً جداً، وأجاب: "ماذا، ماذا يا سيدي! هل تتوقع أن تجد جراحاً في هذا الكوخ؟ ليس لدينا جراح ولا شريك في الرعية، أؤكد لك ذلك ."

فأجابه الآخر: "اعذرني يا سيدي". "يؤسفني أن أبدو متناقضاً معك، ولكن لا يمكن أن تكون على علم بالحقيقة بسبب اتساع الرعية أو لسبب آخر. ابق مكانك أيمكنني أن أخطئ في الحال؟ أنا لست في ويلينجدن؟ أليست ويلينجدن؟ "

"أجل يا سيدي، إنها بالتأكيد ويلينجدن"

"إذن، يا سيدي، أستطيع أن أحضر لك دليلاً على أن لديك جراحاً في الأبرشية، سواء كنت تعرف ذلك أم لا. تفضل يا سيدي" (وهو يسحب دفتر جيبه) "إذا تفضلت عليَّ بإلقاء نظرك على هذه الإعلانات التي قطعتها من جريدة ماتين بوست وجريدة كنتش جازيت صباح أمس، لندن فقط، أعتقد أنك ستقتنع بأنني لا أتحدث جزافاً. ستجدون إعلاناً عن حل شراكة في الخط الطبي، وهو إعلان لا ينكر مراجع محترمة لا يمكن إنكار شخصيتها ترغب في تكوين مؤسسة منفصلة. ستجدها كاملة الطول يا سيدي" - مقدما المستطيلين الصغيرين المستخرجين .

قال السيد هيوود بابتسامة طيبة: "سيدي" " لو أنك أريتني كل الصحف التي تطبع في الأسبوع في جميع أنحاء المملكة لما أقنعتني بوجود جراح في ويلينجدن". "بما أنني عشت هنا منذ ولادتي، رجلاً وصبياً سبعاً وخمسين سنة، فأعتقد أنني لا بد أن أكون قد عرفت مثل هذا الشخص. على الأقل أستطيع أن أقول أنه ليس لديه الكثير من الأعمال.

كن على يقين، لو أن السادة المحترمين جربوا كثيراً هذا الطريق الذي يلي الكوخ، لما كان من سوء الظن أن يحصل الجراح على منزل في أعلى التل.

أما هذا الكوخ فأستطيع أن أؤكد لك يا سيدي أنه في الحقيقة على الرغم من روعة هذا الكوخ من هذه المسافة فهو لا يساوي في الواقع أي مبنى مزدوج في الرعية، وأن راعي الغنم يسكن في أحد طرفيه وثلاث عجائز في الطرف الآخر ."

ثم تناول قطع الورق وهو يتكلم، وبعد أن أمعن النظر فيها أضاف قائلاً: "أعتقد أنني أستطيع أن أشرح لك ذلك يا سيدي. خطأك في المكان. هناك اثنان من ويلينجدين في هذا البلد. وإعلانك يشير إلى الأخرى، وهي ويلينجدين العظيمة أو ويلينجدين أبوتس، وتقع على بعد سبعة أميال من الجانب الآخر من باتل-لو في ويلد .

ونحن يا سيدي"، أضاف متحدثا بفخر، "لسنا في ويلد".

فأجابه المسافر بلطف: "لن ننزل في النذير، أنا متأكد من ذلك". "لقد استغرقنا نصف ساعة لتسلق تلّتك. حسناً، أجرؤ على القول إن الأمر كما تقول، وقد قمت بعمل غبي بغيض في لحظة. إن الإعلانات لم تلفت انتباهي إلا في النصف ساعة الأخيرة من وجودنا في البلدة - عندما كان كل شيء في عجلة وارتباك يلازمان دائماً الإقامة القصيرة هناك. فالمرء لا يستطيع أبداً أن ينهي أي شيء في طريق العمل، كما تعلم، حتى تكون السيارة عند

الباب. وبناءً على ذلك اكتفيت باستفسار موجز، ووجدت أننا سنمر على بعد ميل أو ميلين من ويلنجدن... عزيزتي (لزوجته)" أنا آسف جدا لجلبك إلى هذه الورطة. ولكن لا تقلقي بشأن ساقي. إنها لا تؤلمني بينما أنا هادئ. وحالما يتمكن هؤلاء القوم الطيبون من إعادة العربة إلى مسارها الصحيح، و إرجاع الخيول إلى مكانها الصحيح، فإن أفضل ما يمكننا أن نفعله هو أن نقيس خطواتنا في طريق الرسوم ونمضي إلى حائل، وهكذا إلى البيت، دون أن نحاول أي شيء آخر. ساعتان من الساعات تعود بنا من هايلشام. وعندما نعود إلى البيت، سيكون علاجنا في متناول أيدينا القليل من هواء البحر المنعش سرعان ما يعيدني إلى الوقوف على قدمي. هذا يعتمد على ذلك يا عزيزتي، إنها قضية البحر بالضبط. سيكون الهواء المالح والانغماس في الماء هو الشيء ذاته. إن أحاسيسي تخبرني بذلك بالفعل".

وتدخل السيد هيوود هنا بلطف ووداعة متوسلاً إليهما ألا يفكرا في المضي قدماً حتى يتم فحص الكاحل وتناول المرطبات، وحثهما بكل ود على استخدام منزله لكلا الغرضين .

"وقال: "نحن دائما مزودون جيدا بكل العلاجات الشائعة للالتواءات والكدمات. وسأجيب على ما يسعد زوجتي وبناتي من خدمة زوجتي وبناتي لكم بكل ما في وسعهم من ناحية."

ارتعاش أو اثنان، وهو يحاول تحريك قدمه، جعل المسافر يفكر أكثر قليلاً مما كان يفكر في البداية في فائدة المساعدة الفورية؛ واستشار زوجته في كلمات قليلة: (حسناً يا عزيزتي، أعتقد أن هذا سيكون أفضل لنا)، ثم التفت مرة أخرى إلى السيد هيوود وقال: (قبل أن نقبل ضيافتك يا سيدي، ولكي نزيل أي انطباع غير مواتٍ قد يكون قد نشأ عن نوع المطاردة الجامحة التي وجدتني فيها، دعني أخبرك من نحن .

اسمي باركر، السيد باركر من ساندیتون؛ وهذه السيدة، زوجتي، السيدة باركر. نحن في الطريق الى لندن. اسمي ربما، على الرغم من إنني قريب من لا، أول من امتلك من عائلتي أرضا في أبرشية ساندیتون، قد يكون غير معروف في هذه المسافة من الساحل. ولكن ساندیتون نفسها - الجميع قد سمع عن ساندیتون، المكان المفضل للشباب، أجاب السيد هيوود: "نعم، لقد سمعت عن ساندیتون ."

"إنك تسمع كل خمس سنوات عن مكان جديد أو آخر ينشأ على البحر ويزداد رواجاً .

كيف يمكن أن يمتلئ نصفهم بالعجب! أين يمكن العثور على أناس يملكون المال والوقت للذهاب إليها! أشياء سيئة بالنسبة لبلد ما - من المؤكد أنها ترفع أسعار المؤن وتجعل الفقراء لا يصلحون لشيء - كما أجرؤ على القول بأنك تجد يا سيدي ."

"لا على الإطلاق يا سيدي، لا على الإطلاق"، صرخ السيد باركر بفارغ الصبر. "على العكس تماما، أؤكد لك. فكرة شائعة ولكنها خاطئة. قد تنطبق على أماكنك الكبيرة المتضخمة مثل برايتون أو ورثينج أو إيستبورن، ولكنها لا تنطبق على قرية صغيرة مثل ساندیتون، التي يمنعها حجمها من الشعور بأي من شرور الحضارة. على حين أن نمو المكان والمباني والحضانة والطلب على كل شيء والمركز الآمن لخير صحبة من أفضل الرفقة التي كانت أسرهم المنتظمة المستقرة الخاصة ذات الطيبة الشاملة والطباع التي هي نعمة في كل مكان، قد أثارت صناعة الفقراء ونشرت بينهم الراحة والتحسين على اختلاف أنواعها. لا يا سيدي، أؤكد لك أن ساندیتون ليس مكاناً -"المفضل للاستحمام، وبالتأكيد البقعة المفضلة من بين جميع

البقاع على طول ساحل ساسكس - الأكثر تفضيلاً من قبل الطبيعة، والأكثر تفضيلاً من قبل الإنسان."

فأجاب السيد هيوود: "لا أريد أن أخص بالذكر مكاناً بعينه". "أعتقد فقط أن ساحلنا مليء بهم تماماً. ولكن إذا لم يكن من الأفضل أن نحاول الحصول على." كرر السيد باركر: "ساحلنا مليء جداً!" "في هذه النقطة، ربما لا نختلف تماما. على الأقل هناك ما يكفي منه، فساحلنا وفير بما فيه الكفاية. لا يحتاج إلى المزيد. يمكن أن يتناسب ذوق الجميع وأموال الجميع. وأولئك الناس الطيبون الذين يحاولون أن يضيفوا إلى العدد، في رأيي، هم في رأيي سخفاء بشكل مفرط ولا بد أنهم سيجدون أنفسهم قريباً مغفولين بحساباتهم الخاطئة. مكان مثل ساندیتون، سيدي، يمكنني أن أقول أنه كان مطلوباً ومطلوباً جدا. لقد نطقت الطبيعة بأفصح الحروف. أجمل وأنقى نسيم بحر على الساحل - معروف بأنه - استحمام ممتاز - رمال صلبة ناعمة - مياه عميقة على بعد عشرة أمتار من الشاطئ - لا وحل - لا أعشاب - لا صخور لزجة. لم يكن هناك مكان صممته الطبيعة لمحطة غير صالحة أكثر من هذا المكان - المكان ذاته الذي يبدو أن الآلاف بحاجة إليه! أكثر مسافة مرغوبة من لندن! على بعد ميل كامل من إيستبورن. فقط تخيل يا سيدي ميزة توفير

ميل كامل في رحلة طويلة. ولكن برينشور يا سيدي، التي أجرؤ على القول بأنك تراها في عينيك - إن محاولات اثنين أو ثلاثة من المتكهنين في برينشور في العام الماضي لإثارة هذه المسألة - وهي قرية صغيرة تقع كما هي بين مستنقع راكد، ومستنقع مظلم، ونفايات طحالب متعفنة - قد لا تنتهي إلا بخيبة أملهم. ما الذي يجب أن يوصى به برينشور باسم الفطرة السليمة؟ فالهواء غير صحي، والطرقات التي يضرب بها المثل في الكراهة - والمياه مالحة إلى أبعد الحدود - ومن المستحيل الحصول على طبق جيد من الشاي على بعد ثلاثة أميال من المكان. أما بالنسبة للتربة فهي باردة جداً وجاحدة لدرجة أنها بالكاد يمكن أن تعطي الملفوف .

فاعتمد يا سيدي على أنه برينشور مخلص جداً - وليس في ذلك أدنى مبالغة - وإذا كنت قد سمعته يتحدث عنها بشكل مختلف" قال السيد هيوود: "سيدي، لم أسمعه يتحدث عنها في حياتي من قبل". "لم أكن أعرف أن هناك مكاناً كهذا في العالم ".

"لم تكن تعرف! هناك يا عزيزتي"، ثم التفت بسعادة إلى زوجته، "أترين كيف هو الأمر. الكثير لشهرة برينشور! الرجل المحترم لم يكن يعرف أن هناك مكاناً كهذا في العالم حقاً، يا سيدي، أعتقد أنه يمكننا أن نطبق على

برينشور بيت الشاعر كاوبر في وصفه للقروي المتدين في مقابل بيت فولتير - إنها لم تسمع قط عن نصف ميل إلى البيت."

"من كل قلبي يا سيدي، ضع كل الأبيات التي تريدها. ولكني أريدك أن ترى شيئا يطبق على ساقك. وأنا متأكدة من وجه سيدتك أنها توافقني الرأي تماماً وترى أنه من المؤسف أن نضيع المزيد من الوقت. وها قد أتت بناتي ليتحدثن بأنفسهن وأمهن." (وشوهدت الآن سيدتان أو ثلاث سيدات شابات محترمات المظهر، يتبعهن عدد من الخادمات، يخرجن من المنزل). "بدأت أتعجب من عدم وصول الضجة إليهن. فشيء من هذا القبيل سرعان ما يسبب ضجة كبيرة في مكان موحش مثل منزلنا. والآن دعونا نرى كيف يمكن أن تكونوا أفضل من ينقلونكم في المنزل ."

وصعدت الفتاتان وقالتا كل ما هو جيد موصيتين بعروض أبيهما، وبطريقة غير مؤثرة محسوبة لتجعل الغرباء في سهولة. وبما أن السيدة باركر كانت متلهفة جداً للراحة، وزوجها في ذلك الوقت لم يكن أقل منها رغبة في ذلك، فقد كان يكفي القليل من التذمر المدني؛ خصوصاً وأن السيارة التي كانت قد وضعت الآن في مكانها قد اكتشف أنها أصيبت في الجانب الساقط

بحيث لا تصلح للاستعمال في الوقت الحاضر. لذلك تم حمل السيد باركر إلى المنزل ونقل سيارته إلى حظيرة فارغة.

الفصل الثاني

لم يكن التعارف، الذي بدأ على هذا النحو الغريب، قصيراً ولا تافهاً. فقد ظل المسافرون لمدة أسبوعين في ويلينجدن حيث كان التواء السيد باركر خطيراً جداً بحيث لم يكن في مقدوره أن يتحرك قبل ذلك. لقد وقع في أيدي أمينة جدا. كانت عائلة هيوود عائلة محترمة وقد أولي كل الاهتمام الممكن، بألطف الطرق وأكثرها رقة للزوج والزوجة. وكان هو يحظى بالخدمة والرعاية، وكانت هي تشجعه وتواسيه بلطف لا ينقطع؛ ولما كان كل عمل من أعمال الضيافة والود يلقى ما يجب أن يلقى من حسن الضيافة والوداد، ولم يكن هناك من حسن النية من جانب واحد أكثر من الامتنان من الجانب الآخر، ولا أي نقص في الأخلاق المقبولة عموماً في أي منهما، فقد نما حبهما لبعضهما البعض خلال تلك الليلة حباً عظيماً. وسرعان ما انكشفت شخصية السيد باركر وتاريخه. كل هذا كان يفهمه من نفسه كما قال، لأنه كان صريحاً جداً؛ وحيثما كان هو نفسه في الظلام، كان حديثه لا يزال يعطي معلومات لمن كان من آل هيوود كما يمكن ملاحظته. وبذلك، كان ينظر إليه على أنه متحمس لموضوع ساندیتون، متحمس تماماً. ساندیتون - كان يبدو أنه يعيش

من أجل نجاح ساندیتون ككائن استحمام صغير عصري. فقد كانت قبل سنوات قليلة قرية هادئة متواضعة، ولكن بعض المزايا الطبيعية في موقعها وبعض الظروف العارضة أوحت إليه و إلى المالك الرئيسي الآخر باحتمال أن تصبح قرية مربحة في المضاربة فألزما نفسيهما بها، فخططا لها وبنياها وأجاراها ونفخا فيها وأضفيا عليها شيئاً من الشهرة الشبابية؛ ولم يكن السيد باركر يفكر الآن في أكثر من ذلك. أما الحقائق التي ذكرها في اتصال مباشر فهي أنه كان في نحو الخامسة والثلاثين من عمره، وأنه كان متزوجاً - وهو متزوج سعيداً جداً - منذ سبع سنوات، وأن له أربعة أولاد حلوين في البيت؛ وأنه كان من أسرة محترمة وميسورة الحال، ولكنه لم يكن ذا ثروة كبيرة، ولم تكن له مهنة - وأنه كان الابن الأكبر للعقار الذي كان يملكه جيلان أو ثلاثة أجيال من قبله ويجمعه - وأن له أخوين وأختين كلهم غير متزوجين وكلهم مستقلون - وكان أكبرهم في الواقع قد ورثه عن طريق الميراث، وكان معيلهم مثله، وكان هو نفسه في حالة جيدة .

كما أن هدفه من ترك الطريق العالي لمطاردة إعلان الجراح كان واضحًا أيضًا. فهو لم ينطلق من أي نية في التواء كاحله أو إيذاء نفسه من أجل ذلك الجراح، ولا (كما كان السيد هيوود يميل إلى الافتراض) من أي نية للدخول في

شراكة معه. لقد كان ذلك ببساطة نتيجة لرغبته في تأسيس رجل طبي في ساندیتون، الأمر الذي دفعته طبيعة الإعلان إلى توقع تحقيقه في ويلينجدن. لقد كان مقتنعاً بأن ميزة وجود طبيب في متناول اليد ستعزز بشكل كبير جداً من نهضة المكان وازدهاره، بل ستؤدي في الواقع إلى تدفق هائل - ولم يكن ينقصه شيء آخر. لقد كان محقاً تماماً في اعتقاده أن عائلته قد ثنيت في العام الماضي عن تجربة ساندیتون لهذا السبب وربما أكثر من ذلك بكثير - أما أخواته اللاتي كن معوقات حزينات وكان حريصاً جداً على وصولهن إلى ساندیتون هذا الصيف، فمن الصعب أن يتوقع منهن أن يعرضن أنفسهن للخطر في مكان لا يمكنهن فيه الحصول على مشورة طبية فورية.

وعلى العموم فقد كان السيد باركر على ما يظهر رجل أسرة لطيفاً محباً لزوجته وأولاده وإخوته وأخواته، طيب القلب بوجه عام؛ متحرراً، مهذباً، سهل الإرضاء؛ ذا عقلية هادئة وذهن بارد، وخيال أكثر من الحكم على الأمور. وكانت السيدة باركر أيضاً امرأة لطيفة ودودة حسنة الخلق، وهي أنسب امرأة في العالم لرجل قوي الفهم ولكنه لا يملك القدرة على توفير التفكير العذب الذي كان الزوج في بعض الأحيان في حاجة إليه؛ وكانت تنتظر تماماً أن

يسترشد بها كلما خاطر بثروته أو فر من كاحله، وظلت هي الأخرى عديمة الفائدة .

وكانت ساندیتون بالنسبة له زوجة ثانية وأربعة أولاد، أرخص قليلاً، وأشد أسراً بالتأكيد. كان بإمكانه أن يتحدث عنها إلى الأبد. لقد كانت له في الواقع أسمى المطالب، وليس فقط مطالب مسقط رأسه وممتلكاته ومنزله؛ فقد كانت منجمه ونصيبه ومضارباته وهوايته؛ وكانت مهنته وأمله ومستقبله. وكان حريصاً كل الحرص على أن يجذب أصدقاءه الطيبين إلى ويلنجدن هناك؛ وكانت جهوده في سبيل ذلك مشكورة غير أنانية بقدر ما كانت حارة . وكان يريد أن يحصل على وعد بالزيارة، وأن يحصل على أكبر عدد ممكن من العائلة التي كان بيته يضمها ليتبعوه إلى ساندیتون في أقرب وقت ممكن؛ وكان يرى أن كل واحد منهم في صحة جيدة كما كانوا جميعاً بلا ريب، وكان يتوقع أن يستفيد كل واحد منهم من البحر. وكان من المؤكد أنه لا يمكن لأحد أن يكون معافى حقاً، ولا يمكن لأحد (و إن كان يحافظ على صحته في الوقت الحاضر بمساعدات من التمارين الرياضية والمعنوية في ما يشبه الصحة) أن يكون في حالة صحية آمنة ودائمة دون أن يقضي ستة أسابيع على الأقل في البحر كل عام. وكان هواء البحر والاستحمام في البحر

معاً يكادان يكونان معصومين من الخطأ، وكلاهما كان مضاداً لأي اضطراب في المعدة أو الرئتين أو الدم. وكانا مضاداً للتشنج ومضاداً للرئتين ومضاداً للتقيح ومضاداً للروماتيزم .

كان هواء البحر يداوي ويهدئ ويرخي ويقوي، تارة هذا وتارة ذاك. فإذا أخفق نسيم البحر، كان حمام البحر هو العلاج الأكيد؛ وحيثما أخفق الحمام كان هواء البحر وحده هو العلاج الذي صممته الطبيعة بوضوح.

لكن فصاحته لم تستطع أن تسود. لم يغادر السيد والسيدة هيوود المنزل قط. فقد تزوجا في سن مبكرة وأنجبا عائلة كبيرة جداً، وكانت تحركاتهما محصورة في دائرة صغيرة؛ وكانا أكبر سناً في عاداتهما من عمرهما. فباستثناء رحلتين إلى لندن في السنة لاستلام أرباحه، لم يكن السيد هيوود يذهب أبعد مما تحمله قدماه أو حصانه القديم المجرب؛ وكانت مغامرات السيدة هيوود تقتصر على زيارة جيرانها بين الحين والآخر في العربة القديمة التي كانت جديدة عندما تزوجا وتضاعفت حديثاً مع بلوغ ابنهما الأكبر عشر سنوات. وكان لديهما من الممتلكات الجميلة جداً؛ وكان يكفيهما، لو كان لعائلتهما حدود معقولة، ما كان يسمح لهما بنصيب وافر من الرفاهية والتبديل؛ وكان يكفيهما أن ينغمسا في سيارة جديدة وطرق أفضل، وشهر عارض في

تونبريدج ويلز، وعوارض النقرس وشتاء في باث. ولكن نفقة أربعة عشر ولداً وتعليمهم و إقامتهم كانت تتطلب منهم الهدوء والاستقرار والحذر في الحياة، وتقتضي منهم الثبات والصحة في ويلنجدن .

أما الحذر الذي كان موضع شك في البداية فقد أصبح الآن مقبولاً بحكم العادة. ولم يغادروا المنزل أبداً، وكان من دواعي ارتياحهم أن يقولوا ذلك. ولكنهما كانا بعيدين كل البعد عن أن يتمنيا أن يفعل أولادهما نفس الشيء، بل كانا سعيدين بتشجيعهم على الخروج إلى العالم قدر الإمكان. فكانا يلازمان البيت كما كان أولادهما يخرجون منه؛ وفي الوقت الذي كانا يهيئان البيت بأقصى ما يمكن من الراحة، كانا يرحبان بكل تغيير قد يعطي صلات مفيدة أو معرفة محترمة بالأبناء أو البنات. ولذلك عندما توقف السيد والسيدة باركر عن التماس الزيارة العائلية وقصروا نظرهم على اصطحاب ابنة معهم إلى البيت، لم تكن هناك صعوبة في ذلك. لقد كان ذلك موضع سرور وموافقة عامة. وكانت دعوتهم للآنسة شارلوت هيوود، وهي شابة مقبولة جداً في الثانية والعشرين من عمرها، وهي أكبر فتيات البيت، وهي التي كانت بإرشاد أمها أكثرهن مساعدة لهم و إكراماً؛ وهي أكثرهن تردداً عليهم وأكثرهن معرفة بهم. وكان من المقرر أن تذهب شارلوت وهي في صحة ممتازة لتستحم

وتتحسن إذا استطاعت؛ ولتنال كل متعة ممكنة يمكن أن يحثها عليها ساندیتون بفضل امتنان من ذهبت معهم، ولتشتري مظلات وقفازات ودبابيس جديدة لأختيها ولنفسها من المكتبة التي كان السيد باركر حريصاً على دعمها .

وكان كل ما أمكن إقناع السيد هيوود نفسه أن يعدها بأنه سيرسل كل من يطلب نصيحته إلى ساندیتون، وأنه لا شيء يحمله (فيما يمكن أن يجاب عليه في المستقبل) على إنفاق ولو خمسة شلنات في برينشور .

الفصل الثالث

يجب أن يكون لكل حي سيدة كبرى. وكانت سيدة ساندیتون الكبرى هي الليدي دنهام؛ وفي رحلتهم من ويلنجدن إلى الساحل، أعطى مستر باركر لشارلوت وصفاً أكثر تفصيلاً عنها مما طلب منه من قبل. وكانت قد ذكرت بالضرورة في ويلنجدن في كثير من الأحيان لتكون زميلته في التكهنات. ولم يكن من الممكن الحديث عن ساندیتون نفسه طويلاً دون أن يذكر الليدي دنهام. أما أنها كانت سيدة عجوز غنية جداً، وقد دفنت زوجين، وكانت تعرف قيمة المال، وكانت معجبة كثيراً وكان لها ابن عم فقير يعيش معها، فقد كانت هذه حقائق معروفة من قبل؛ ولكن بعض التفاصيل الأخرى عن تاريخها وشخصيتها كانت تخفف من عناء التلة الطويلة، أو الطريق الثقيل نوعاً ما، وتعطي الزائرة الشابة معرفة بالشخص الذي قد تتوقع الآن أن تصاحبه يومياً .

كانت الليدي دنهام سيدة ثرية من آل بريريتون، ولدت ثرية ولكنها لم تكن متعلمة. وكان زوجها الأول هو السيد هوليس، وهو رجل ذو أملاك كبيرة في الريف، وكان جزء كبير من أبرشية ساندیتون مع قصره ومنزل الضيعة الملكية

جزءاً منها. كان رجلاً مسنًا عندما تزوجته، وكان عمره حوالي الثلاثين. وقد لا تفهم دوافعها لمثل هذا الزواج إلا قليلاً بعد مرور أربعين سنة، ولكنها كانت قد اعتنت بالسيد هوليس وأرضته إلى درجة أنه ترك لها عند وفاته كل شيء - كل أملاكه وكل شيء تحت تصرفها. وبعد ترملها لبضع سنوات كانت قد ترملت بعد أن تزوجت مرة أخرى. وقد نجح المرحوم السير هاري دنهام، صاحب دنهام بارك، ساندیتون، في أن ينقلها هي ودخلها الكبير إلى أملاكه الخاصة، ولكنه لم يستطع أن ينجح في فكرة إثراء عائلته التي خصصت له بشكل دائم. وقد كانت حذرة جداً من أن تضع شيئاً من مالها الخاص، وعندما عادت مرة أخرى إلى منزلها الخاص في ساندیتون عند وفاة السير هاري قيل إنها تفاخرت أمام أحد أصدقائها: "بأنها لو كانت قد حصلت على أي شيء تملكه من العائلة لما أعطته شيئاً مقابل ذلك."

من أجل هذا اللقب، كان يجب أن نفترض أنها تزوجت؛ واعترف السيد باركر بأن هناك درجة من القيمة لذلك الظاهر الآن، بحيث يعطيها ذلك التفسير الطبيعي. "وقال: (إن هناك أحياناً شيئاً من الاعتداد بالنفس، ولكن هذا هو الحال لا يسيء إليها، وهناك أوقات، بل هناك نقاط، عندما يكون حبها للمال مبالغاً فيه. ولكنها امرأة حسنة الخلق، امرأة حسنة الخلق جداً - جارة ودودة

وطيبة القلب جداً؛ وهي شخصية مرحة ومستقلة وذات قيمة ويمكن أن تعزى عيوبها كلها إلى قلة تعليمها. لديها حس طبيعي جيد، ولكنها غير متعلمة إلى حد ما. وهي تتمتع بذهن نشيط جيد فضلاً عن أنها تتمتع ببنية سليمة ورائعة بالنسبة لامرأة في السبعين من عمرها، وتدخل في تحسين ساندیتون بروح رائعة حقاً. من وقت لآخر سيظهر عليها صغر السن. إنها لا تستطيع أن تنظر إلى الأمام كما أفعل أنا، ولا تستطيع أن تنظر إلى المستقبل كما أفعل أنا، فتأخذ في التنبيه إلى النفقات الضئيلة الحالية دون أن تفكر في العوائد التي ستعود عليها بعد عام أو عامين. إننا نفكر بشكل مختلف، ونرى الأشياء بشكل مختلف من وقت لآخر، آنسة هيوود. أولئك الذين يروون قصتهم الخاصة، كما تعلمين، يجب أن نستمع إليهم بحذر. عندما ترننا على اتصال، احكمي بنفسك ".

كانت الليدي دنهام في الواقع سيدة عظيمة تفوق حاجات المجتمع العادية، فقد كانت تملك عدة آلاف من الجنيهات في السنة لتورثها، وثلاث طوائف متميزة من الأشخاص الذين يجب أن تتودد إليهم: أقاربها الذين قد يتمنون أن يكون من المعقول جداً أن يكون الثلاثون ألف جنيه الأصلية بينهم؛ وورثة السيد هوليس الشرعيون الذين لا بد أنهم يأملون أن يكونوا مدينين

لها أكثر مما سمح لهم أن يكونوا مدينين له؛ وأفراد عائلة دنهام الذين كانت تأمل أن يكون زوجها الثاني قد حقق لها صفقة جيدة. ومن هؤلاء جميعاً، أو من فروع منهم، لا شك أنها كانت منذ زمن بعيد، ولا يزال هو، في موضع الهجوم؛ ومن بين هذه الأقسام الثلاثة لم يتردد السيد باركر في القول بأن والدي السيد هوليس هما الأقل حظوة والسير هاري دنهام هو الأكثر. وكان يعتقد أن الأول قد ألحق بنفسه ضرراً لا يمكن إصلاحه بتعبيره عن استياء غير حكيم وغير مبرر وقت وفاة السيد هوليس؛ أما الثاني فقد كان له ميزة بقاء صلة لا شك أنها كانت تقدرها، وأنه كان معروفاً لها منذ طفولتهما، وأنه كان دائماً في متناول اليد للحفاظ على مصلحتهما بالاهتمام المعقول. وكان السير إدوارد، البارونيت الحالي، وهو ابن أخت السير هاري، يقيم باستمرار في دنهام بارك؛ ولم يكن لدى السيد باركر شك في أنه هو وأخته الآنسة دنهام التي كانت تعيش معه سيذكران وصيتها بشكل رئيسي. كان يأمل ذلك بصدق. فقد كان للآنسة دنهام مؤونة صغيرة جداً؛ وكان أخوها رجلاً فقيراً بالنسبة لمجتمعه من حيث الرتبة .

"قال مستر باركر: (إنه صديق حميم لساندیتون، و إن يده ستكون سخية كقلبه لو كانت لديه القدرة على ذلك. سيكون مساعدا نبيلا! أما وهو كذلك، فإنه

يفعل ما في وسعه، ويذهب إلى كوخ صغير أنيق مزين، على قطعة من الأرض الخربة التي منحته إياها الليدي دنهام، ولا شك عندي في أنه سيكون لدينا الكثير من المتقدمين لشرائه، حتى قبل أن ينتهي هذا الموسم."

وكان السيد باركر حتى الاثني عشر شهراً الماضية يعتبر السير إدوارد بلا منافس له، وأنه كان الأوفر حظاً في أن يخلفها في الجزء الأكبر من كل ما كان عليها أن تعطيه، ولكن كانت هناك الآن مطالبات شخص آخر يجب أن تؤخذ في الاعتبار، وهي مطالبات الشابة التي كانت الليدي دنهام قد أقنعت باستقبالها في عائلتها. فبعد أن كانت تحتج دائماً على مثل هذه الإضافة، وبعد أن كانت تستمتع طويلاً بالهزائم المتكررة التي كانت تمنى بها في كل محاولة من أقاربها لتقديم هذه الشابة أو تلك كرفيقة في بيت ساندیتون، عادت من لندن في عيد الميلاد الماضي إلى الآنسة بريتون التي كانت تعرض بمزاياها فقط أن تنافس السير إدوارد في الحظوة لدى السير إدوارد وأن تؤمن لنفسها ولعائلتها ذلك النصيب من الممتلكات المتراكمة التي كان لها بالتأكيد الحق الأوفر في أن ترثها .

وقد تحدث السيد باركر بحرارة عن كلارا بريتون وازدادت أهمية قصتها كثيراً بتقديم مثل هذه الشخصية. وكانت شارلوت تستمع إليه الآن بأكثر من مجرد التسلية؛ فقد كان ذلك من دواعي سرورها وسرورها وهي تسمعه يصفه بأنه ساحر وودود ولطيف ومتواضع، ويتصرف بشكل منتظم بحسن خلق، ومن الواضح أنه كان يكسب بجدارته الفطرية عواطف راعيته. فالجمال والوداعة والفقر والتبعية لا تحتاج إلى مخيلة الرجل، إلا فيما ندر، فالمرأة تشعر بالمرأة بسرعة وعطف، وهي لا تشعر به إلا فيما ندر. وقد ذكر التفاصيل التي أدت إلى دخول كلارا إلى ساندیتون على أنها ليست نموذجاً سيئاً لهذا الخليط من الطباع، هذا الاتحاد بين الضآلة والطيبة والحس السليم مع ما رآه في الليدي دنهام من سخاء .

وبعد أن تجنبت لندن لسنوات عديدة، وذلك أساساً بسبب أبناء العمومة الذين كانوا يراسلونها باستمرار ويدعونها ويعذبونها، والذين كانت مصممة على أن تبقيهم على مسافة، اضطرت في المرة الأخيرة مع ميكالماس أن تذهب إليه وهي متيقنة من احتجازه أسبوعين على الأقل. وكانت قد ذهبت إلى أحد الفنادق، وذهبت إلى فندق تقيم فيه على حسابها الخاص على قدر ما أمكنها من الحكمة لتستطيع أن تتحدى النفقات المشهورة لمثل هذا

المنزل، وفي نهاية ثلاثة أيام طلبت فاتورته حتى تستطيع أن تحكم على حالته .

وكان مبلغها من الضخامة بحيث عزمت على أن لا تبقى ساعة أخرى في البيت، وأعدت نفسها بكل ما في نفسها من الغضب والاضطراب لاعتقادها في وقاحة شديدة هناك، ولجهلها إلى أين تذهب لتستفيد أفضل، لمغادرة الفندق على كل حال، عند أبناء العم, أبناء العمومة السياسيون المحظوظون، الذين كان يبدو أن لهم دائماً جاسوساً عليها، قدموا أنفسهم في هذه اللحظة الهامة، وعلموا بحالها، وأقنعوها بقبول منزل في مثل هذا المكان لبقية إقامتها كما قد يعرضه منزلهم المتواضع في جزء أدنى من لندن. وذهبت، وسعدت بما لقيته من حفاوة الاستقبال والحفاوة والاهتمام من الجميع - ووجدت بنات عمها الطيبات آل بريتون فوق ما كانت تتوقعه من الناس - وأخيراً دفعها اطلاعها الشخصي على ضيق دخلهم وصعوباتهم المالية إلى دعوة إحدى بنات العائلة لقضاء الشتاء معها .

وكانت الدعوة موجهة إلى واحدة لمدة ستة أشهر - مع احتمال أن تحل محلها أخرى بعد ذلك - ولكن الليدي دنهام في اختيارها تلك الفتاة قد أظهرت الجانب الطيب من شخصيتها. فقد اختارت كلارا ابنة أختها - وهي أكثر عجزاً

وأشد شفقة من أي بنت حقيقية من بنات المنزل - وهي مع ذلك عالة على الفقر - وهي عبء آخر على دائرة مزدحمة - وهي التي كانت في نظر العالم كله في أدنى من أن تكون، مع كل ما تملكه من مواهب وقوى طبيعية مهيأة لوضع لا يزيد على أن تكون خادمة في الحضانة .

وكانت كلارا قد عادت معها - وبفضل فطنتها وجدارتها قد ضمنت الآن - فيما يبدو - قبضة قوية جداً على نظر الليدي دنهام. وكانت الأشهر الستة قد انقضت منذ فترة طويلة - ولم ينطق أحد بأي لفظة عن أي تغيير أو تبديل. كانت مفضلة لدى الجميع .

وكان الجميع يشعرون بتأثير سلوكها المنتظم واللطيف، ومزاجها المعتدل. لقد تبددت الأحكام المسبقة التي اجتمعت في البداية، في بعض الأوساط، في بعض الدوائر. فقد كان هناك شعور بأنها جديرة بالثقة، وبأنها الرفيقة التي من شأنها أن ترشد الليدي دنهام وتلين لها، والتي من شأنها أن توسع عقلها وتفتح يدها. لقد كانت ودودة كما كانت جميلة - ومنذ أن حظيت بميزة نسائم ساندیتون التي كانت تنعم بها - اكتمل جمالها.

الفصل الرابع

" وما هذا المكان المريح جداً." قالت شارلوت بينما كانا يمران في منخفض محمي يبعد أقل من ميلين عن البحر، على مقربة من منزل متوسط الحجم، مسور ومزروع جيداً، وغني بالحدائق والبساتين والمروج التي هي أفضل ما يزين مثل هذا المسكن. "يبدو أنه يحتوي على العديد من وسائل الراحة مثل ويلينجدين ."

"آه"، قال السيد باركر. "إنه بيتي القديم، بيت أجدادي، البيت الذي ولدت فيه أنا وجميع إخوتي وأخواتي وترعرعنا فيه، وولد فيه أولادي الثلاثة الكبار؛ حيث عشت أنا والسيدة باركر حتى السنتين الأخيرتين، إلى أن تم الانتهاء من بناء بيتنا الجديد. أنا سعيد لأنك مسرور به. إنه مكان قديم وأمين؛ و "هيلير" يبقيه في حالة جيدة جداً. لقد تخليت عنه، كما تعلم، للرجل الذي يحتل رأس أرضي. هو يحصل على منزل أفضل منه، وأنا، وضع أفضل قليلا! تل آخر يقودنا إلى ساندیتون - ساندیتون الحديثة - مكان جميل. أسلافنا، كما تعلم، كانوا يبنون دائماً في حفرة. وها نحن أولاء قد انغلقنا في هذه الزاوية الصغيرة التي لا هواء فيها ولا منظر، على بعد ميل وثلاثة أرباع

الميل من أنبل امتداد للمحيط بين جنوب فورلاند ولاند فين وبدون أدنى ميزة. لن تظنوا أنني قمت بتبادل سيء عندما نصل إلى بيت ترافالغار - والذي بالمناسبة أكاد أتمنى لو لم يكن اسمه ترافالغار - لأن واترلو هو الشيء الأكثر أهمية الآن .

ومع ذلك فإن واترلو في الاحتياط، و إذا كان لدينا ما يكفي من التشجيع هذا العام للمغامرة في هلال صغير، كما أرجو أن نفعل، فيمكننا أن نسميه هلال واترلو - ويقترن الاسم بشكل المبنى الذي يأخذ دائماً، وسيعطينا أمر المستأجرين. في موسم جيد، يجب أن يكون لدينا طلبات أكثر مما يمكننا تلبيته. "وإذا كان لدينا ما يكفي من التشجيع السنوي لهلال صغير للمغامرة، كما آمل أن نفعل، فيمكننا أن نسميه هلال واترلو- والاسم المرتبط بشكل المبنى، الذي يأخذ دائما، سيمنحنا قيادة المستأجرين. في موسم جيد، يجب أن يكون لدينا طلبات أكثر مما يمكننا تلبيته. "و إذا كان لدينا ما يكفي من التشجيع السنوي لهلال صغير للمغامرة، كما آمل أن نفعل، فيمكننا أن نسميه هلال واترلو- والاسم المرتبط بشكل المبنى، الذي يأخذ دائما، سيمنحنا قيادة المستأجرين. في موسم جيد يجب أن يكون لدينا طلبات أكثر مما يمكننا تلبيته".

قالت السيدة باركر وهي تنظر إليه من خلال النافذة الخلفية بما يشبه عاطفة الأسف: "كان لا يزال منزلاً مريحاً جداً". "ومثل هذه الحديقة الجميلة ".

"نعم يا حبيبتي، ولكن يمكننا القول بأننا نحملها معنا. إنها تمدنا، كما في السابق، بكل ما نريده من الفاكهة والخضروات. ولدينا، في الواقع، كل وسائل الراحة التي توفرها حديقة مطبخ ممتازة دون الرعب المستمر من شكلياتها أو الإزعاج السنوي لنباتاتها المتحللة. من يستطيع تحمل فراش من الملفوف في أكتوبر؟ "

"يا إلهي، نعم. نحن في حالة جيدة بالنسبة لأشياء الحديقة كما كنا دائماً؛ لأنه إذا نسيت إحضارها في أي وقت، يمكننا دائماً شراء ما نريده من بيت ساندیتون. فالبستاني هناك سعيد بما فيه الكفاية لتزويدنا بها. ولكنه كان مكاناً جميلاً للأطفال ليتجولوا فيه. ظليل جدا في الصيف "!

"يا عزيزتي، سيكون لدينا ما يكفي من الظل على التل، وأكثر مما يكفي على مدى بضع سنوات. إن نمو مزروعاتي هو دهشة عامة. في هذه الأثناء لدينا مظلة قماشية تمنحنا أكثر أبواب الراحة اكتمالاً. ويمكنك أن تشتري مظلة من متجر ويتبي لطقس ماري الصغيرة، أو قلنسوة كبيرة من متجر جيب. وبالنسبة للأولاد، يجب أن أقول إنني أفضل أن يركضوا تحت أشعة الشمس

على عدم الركض. أنا متأكدة من أننا نتفق تماماً، عزيزتي، في تمني أن يكون أولادنا أقوياء قدر الإمكان ".

"نعم بالتأكيد، أنا متأكدة من ذلك. وسآخذ لماري مظلة صغيرة، مما سيجعلها فخورة قدر الإمكان .

كما ستكون جادة في المشي معها وتتخيل نفسها امرأة صغيرة. أوه، ليس لدي أدنى شك في أننا أفضل حالا بكثير حيث نحن الآن. إذا أردنا الاستحمام، فليس أمامنا ربع ميل لنقطعه. ولكنك تعلمين (ما زلت تنظرين إلى الوراء) أن المرء يحب أن ينظر إلى صديق قديم في مكان كان سعيداً فيه. يبدو أن آل هيلير لم يشعروا بعواصف الشتاء الماضي على الإطلاق. أتذكر رؤيتي للسيدة هيلير بعد إحدى تلك الليالي الرهيبة، عندما كنا قد اهتزنا حرفياً حتى النوم في سريرنا، ولم تكن تبدو مدركة على الإطلاق لحقيقة أن الرياح أكثر من شائعة."

"نعم، نعم، هذا ربما يكفي على الأرجح. إن لدينا كل عظمة العاصفة مع خطر حقيقي أقل، لأن الرياح التي لا تلتقي بشيء يعارضها أو يحصرها حول منزلنا تثور وتمر ببساطة؛ بينما في هذا الحضيض لا يعرف شيء عن حالة الهواء تحت قمم الأشجار؛ وقد يفاجأ السكان على حين غرة بتيار من تلك

التيارات الرهيبة التي لا تضر في الوادي عندما تهب في بلد مكشوف أكثر مما تضر في بلد مفتوح يعرف أشد العواصف. ولكن، حبيبتي العزيزة، أما بالنسبة لصناديق النوافذ، فقد قلتِ أن أي إغفال عرضي قد حدث في لحظة من قبل بستاني السيدة دنهام. ولكن يخيل لي بأننا يجب أن نذهب إلى مكان آخر في مثل هذه المناسبات، وسترنجر العجوز وابنه لهما الحق في ذلك. لقد شجعته على التحضير كما تعلم، وأخشى أنه لا يبلي بلاء حسنا .

إنه، لم يكن هناك وقت كافٍ بعد. سيبلي بلاءً حسناً دون أدنى شك. لكن في البداية، إنه عمل صعب، لذا علينا أن نقدم له كل المساعدة الممكنة. عندما يصادف أن تكون الخضروات أو الفاكهة مطلوبة - ولن يضر أن تكون مطلوبة في كثير من الأحيان، حيث أن هناك شيئاً أو آخر منسي في معظم الأيام - فقط احصلوا على مؤونة اسمية، كما تعلمون، قد لا يخسر أندرو العجوز المسكين عمله اليومي، بل في الواقع اشتروا رأس استهلاك سترينجر."

"حسنا جدا، حبيبتي، يمكن القيام بذلك بسهولة. والطباخة ستكون راضية، وهذا سيكون مريحا جدا، لأنها دائما ما تتذمر من أندرو العجوز الآن وتقول

أنه لا يعطيها ما تريده أبدا. والآن، ها هو البيت القديم قد تركناه خلفنا تماما. ماذا يقول أخوك سيدني عن المستشفى؟ "

"أوه، عزيزتي ماري، مجرد واحدة من نكاته. انه يتظاهر بأنه ينصحني بأن أجعله مستشفى. يتظاهر بأنه يضحك على تحسيناتي سيدني سيقول أي شيء كما تعلمين إنه يقول دائماً ما يختاره هو و لنا جميعاً معظم العائلات لديها شخص كهذا في وسطها على ما أعتقد، سيدة هيوود

هناك شخص ما في معظم العائلات يتمتع بقدرات أو عقول متفوقة ليقول أي شيء .

أما في عائلتنا فهو سيدني، وهو شاب ذكي جدا ولديه قدرات عظيمة من المتعة. إنه يعيش في العالم أكثر من اللازم ليكون منظما؛ وهذا هو عيبه الوحيد. إنه هنا وهناك وفي كل مكان. أتمنى أن نأخذه إلى ساندیتون .

أتمنى أن تتعرفي عليه !وسيكون شيئاً جيداً للمكان شاب مثل سيدني بمعداته الأنيقة و أناقته الثابتة، أنت وأنا يا ماري، نعرف ما هو التأثير الذي سيكون له. العديد من العائلات المحترمة، والعديد من الأمهات الحريصات، والعديد من البنات الجميلات يمكن أن يؤمنوا إجحاف إيستبورن وهاستينغز."

وكانا الآن يقتربان من الكنيسة وقرية ساندیتون الحقيقية التي كانت تقف عند سفح التل الذي كانا يريدان تسلقه - وهو تل كانت الغابات تغطي جانبه وتحيط به دار ساندیتون، وينتهي ارتفاعه بفتحة هابطة قد يُلتمس فيها قريباً مبانٍ جديدة. وكان هناك فرع واحد فقط، من الوادي، متعرجاً بشكل أكثر انحرافاً نحو البحر، يعطي ممراً لمجرى مائي لا يعتد به، ويشكل عند مصبه قسماً ثالثاً صالحاً للسكنى في مجموعة صغيرة من بيوت الصيادين .

وكانت القرية الأصلية لا تحتوي على أكثر من أكواخ صغيرة؛ ولكن روح العصر كانت قد أخذت كما قال السيد باركر بسعادة في شارلوت، وكان اثنان أو ثلاثة من أفضلها أنيقين بستارة بيضاء مكتوب عليها (صيادون للأجرة)، وفي مكان أبعد، في الساحة الخضراء الصغيرة لمزرعة قديمة، كانت هناك امرأتان ترتديان البياض الأنيق يمكن رؤيتهما بالفعل مع كتبهما ومقاعدهما؛ وعند الالتفات إلى زاوية المخبز كان يمكن سماع صوت قيثارة من خلال العلوية .

وكانت هذه المناظر والأصوات تسعد السيد باركر كثيراً. وليس معنى ذلك أنه كان له أي اهتمام شخصي بنجاح القرية نفسها؛ فقد كان يعتبرها بعيدة جداً عن الشاطئ، ولم يكن قد فعل شيئاً هناك؛ ولكنها كانت دليلاً قيماً جداً

على تزايد موضة المكان في الجملة. و إذا ما استطاعت القرية أن تجتذب الزوار، فإن التل كان يمكن أن يكون ممتلئاً تقريباً. وكان يتوقع موسماً مذهلاً. ففي مثل هذا الوقت من العام الماضي (أواخر يوليو) لم يكن في القرية مستأجر واحد! ولم يكن يتذكر وجود أي منهم خلال الصيف كله، باستثناء عائلة من الأطفال الذين قدموا من لندن لاستنشاق هواء البحر بعد أن أصابهم السعال الديكي، ولم تكن أمهم تسمح لهم بالاقتراب من الشاطئ خوفاً من سقوطهم فيه.

"حضارة، حضارة بالفعل!" صرخ السيد باركر مبتهجاً .

"انظري يا عزيزتي ماري، انظري إلى نوافذ ويليام هيلي. أحذية زرقاء، وأحذية نانكين! من كان يتوقع مثل هذا المنظر عند صانع أحذية في ساندیتون القديمة! إنه جديد في هذا الشهر لم يكن هناك أحذية زرقاء عندما مررنا هكذا منذ شهر مضى. !رائع بالفعل حسناً، أعتقد أني فعلت شيئاً في يومي الآن إلى تلّنا، تلّنا الذي يتنفس الصحة ."

وفي طريقهم إلى أعلى مروا ببوابات نزل بيت ساندیتون ورأوا قمة البيت نفسه بين بساتينه. كان آخر مبنى من المباني القديمة في هذا الخط من الرعية. وفي أعلى قليلاً بدأ البناء الحديث؛ وعند عبور الجزء الأسفل، كان

بيت بروسبكت هاوس وكوخ بلفيو ودنهام بليس ينظر إليه شارلوت بهدوء الفضول المسلي، وينظر إليه مستر باركر بعين متلهفة تأمل أن ترى بيوتاً نادرة خالية. وكان قد وضع في حسبانه أن يرى فواتير أكثر في النوافذ، وأن يرى صحبة أقل على التل - سيارات أقل، ومشاة أقل. كان يتصور أن هذا هو الوقت المناسب لعودتهم جميعاً من استجمامهم لتناول العشاء؛ ولكن الرمال والشرفة كانت دائماً ما تبتعد قليلاً - ولا بد أن المد قد بلغ منتصف الطريق الآن.

كان يتوق إلى أن يكون على الرمال، والمنحدرات، والمنزل، وفي كل مكان بعيدًا عن المنزل في آن واحد. وكان ذهنه قد صعد إلى نفس المنظر الذي يطل على البحر، وكاد يشعر بأن كاحله قد اشتد بالفعل. كان منزل ترافالغار، في أعلى بقعة في الأسفل، مبنى خفيفاً وأنيقاً، قائماً في حديقة صغيرة وحولها مزرعة صغيرة جداً، على بعد مائة ياردة من وجه جرف شديد الانحدار ولكنه ليس شديد الارتفاع - وكان أقرب ما يكون إلى أي مبنى، ما عدا صفاً قصيراً من المنازل الأنيقة المظهر يسمى التراس، وأمامه ممشى واسع، يطمح إلى أن يكون المركز التجاري للمكان. وفي هذا الصف كان يوجد متجر الطحان الأفضل والمكتبة - وكان منفصلاً عنه قليلاً الفندق وغرفة البلياردو.

وهنا بدأ النزول إلى الشاطئ وآلات الاستحمام. وهكذا كان المكان المفضل للجمال والأزياء .

وفي منزل ترافالغار، الذي كان يرتفع على مسافة قصيرة وراء التراس، استقر المسافرون في أمان؛ وكان كل شيء في سعادة وفرح بين الأب والأم وأولادهما؛ أما شارلوت فقد وجدت متعتها في الوقوف عند نافذتها الفينيسية العظيمة والنظر إلى مختلف مقدمات المباني غير المكتملة والكتان الملوح وأسطح المنازل، إلى البحر وهو يتراقص ويتألق بأشعة الشمس ونضارتها.

الفصل الخامس

عندما التقيا قبل العشاء، كان السيد باركر ينظر في الرسائل .

قال: "لا يوجد سطر من سيدني!" قال: "إنه رجل عاطل. لقد أرسلت له تقريراً عن حادث ويلينجدن وظننت أنه سيجيبني. لكن ربما يعني ذلك أنه سيأتي بنفسه. أتمنى ذلك.

هذه رسالة من إحدى أخواتي أنا لا أفتقدهم أبداً .

النساء هن المراسلات الوحيدات اللاتي يعتمد عليهن المراسلون. والآن يا ماري"، وهو يبتسم لزوجته، "قبل أن تفتحيها، ماذا يمكنك أن تخمني عن الحالة الصحية لمن جاءت منه، أو بالأحرى ماذا كان سيدني سيقول لو كان هنا؟ سيدني هي فتاة منحة دراسية صفيقة، آنسة هيوود. ويجب ان تعلمي، ان هناك الكثير من الخيال في شكاوى شقيقتاي. ولكن هذا في الحقيقة ليس كذلك، أو القليل جدا. إن صحتهما بائسة، كما سمعتمونا نقول كثيرا، وهما معرضتان لمجموعة متنوعة من الاضطرابات الخطيرة جدا. في الواقع، لا أعتقد أنهم يعرفون ما هو اليوم الصحي .

وهن في نفس الوقت نساء نافعات ممتازات مفيدات ولهن من الطاقة ما يجعلهن حيث يجب أن يكون كل خير يبذلن جهوداً تبدو لمن لا يعرفهن جيداً بمظهر غير عادي. ولكن ليس فيهن في الحقيقة أي تكلف كما تعلمون. فهم لا يملكون إلا دساتير أضعف وأرواحاً أقوى من أولئك الذين نلتقي بهم في كثير من الأحيان، منفردين أو مجتمعين. وأخونا الأصغر الذي يعيش معهما ولم يتجاوز العشرين من عمره، يؤسفني أن أقول إنه يكاد يكون عاجزاً مثلهما. إنه حساس جداً لدرجة أنه لا يستطيع الانخراط في أي مهنة. سيدني يضحك عليه. لكنها في الحقيقة ليست مزحة، على الرغم من أن سيدني غالباً ما يجعلني أضحك عليهم جميعاً على الرغم من نفسي. الآن، لو كان هنا، أعلم أنه سيعرض فرصاً بأن سوزان أو ديانا أو آرثر يبدو من خلال هذه الرسالة أنهم كانوا على وشك الموت في الشهر الماضي "إما منفصلين أو معاً. وأخونا الأصغر، الذي يعيش معهما والذي لم يتجاوز العشرين من عمره بكثير، يؤسفني أن أقول أنه عاجز مثلهما تقريباً. إنه حساس جدا لدرجة أنه لا يستطيع الانخراط في العمل بشكل احترافي. سيدني يضحك عليه. لكنها ليست مزحة في الحقيقة سيدني غالباً ما تجعلني أضحك عليه رغماً عني .

الآن، لو كان هنا، أعلم أنه سيعرض فرصاً بأن سوزان أو ديانا أو آرثر سيدني يضحك عليه. لكنها في الحقيقة ليست مزحة، على الرغم من أن سيدني غالباً ما يجعلني أضحك عليهم جميعاً على الرغم من نفسي .

وبعد أن ألقى عينيه على الرسالة، هزّ رأسه وبدأ :

"يؤسفني أن أقول إنه لا توجد فرصة لرؤيتهم في ساندیتون .

إنه حساب غير مبالٍ بهم في الواقع. حقاً، رواية غير مبالية جداً. ماري، ستشعرين بالأسف لسماع مدى سوء حالهم. آنسه هيوود، اذا سمحتي لي بالذهاب سأقرأ رسالة من ديانا بصوت عال .

أحب أن يتعرف أصدقائي على بعضهم البعض وأخشى أن هذا هو النوع الوحيد من التعارف الذي سأتمكن من معرفته بينكما. ولا يمكنني أن أتحفظ على ديانا؛ لأن رسائلها تظهرها بالضبط كأكثر الكائنات نشاطاً ووداً ودوداً وطيبة قلب، فلا بد أن تترك انطباعاً جيداً ."

ثم قرأ: "عزيزي توم، لقد أحزننا جميعاً كثيراً لحادثتك، ولولا أنك وصفت نفسك بأنك وقعت في أيدٍ أمينة جداً، لكنت معك في كل المخاطر التي واجهتني في اليوم التالي لتلقي رسالتك، رغم أن ذلك جعلني أعاني من نوبة أشد من المعتاد من ظلمي القديم، ومن الصفراء المتشنجة، وبالكاد أستطيع

الزحف من سريري إلى الأريكة. ولكن كيف عولجت؟ أرسل لي المزيد من التفاصيل في رسالتك القادمة. لو كان التواء بسيطاً بالفعل، كما تسمينه، لما كان هناك ما هو معقول مثل الاحتكاك، الاحتكاك باليد وحده، على افتراض أنه يمكن تطبيقه فوراً. فمنذ سنتين اتصلت بالسيدة شيلدون عندما التوى كاحل سائق العربة أثناء تنظيفها ولم يستطع أن يعرج إلى البيت بصعوبة، ولكن بالاستخدام الفوري للاحتكاك وحده بانتظام (وقد دلكت كاحلي بيدي لمدة ست ساعات دون انقطاع) شفي في ثلاثة أيام. فشكراً جزيلاً لك يا عزيزي توم على لطفك الذي يهمنا والذي كان له أثر كبير في تنفيذ الحادث الذي تعرضت له. ولكن أرجوك ألا تجازف مرة أخرى في البحث عن عطار على حسابنا، لأنك لو كنت أكثر الرجال خبرة في هذا المجال في ساندیتون لما كان ذلك تزكية لنا. لقد انتهينا تماماً من القبيلة الطبية كلها. لقد استشرنا طبيباً بعد طبيب دون جدوى، حتى اقتنعنا أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا لنا شيئاً، وأننا يجب أن نثق بمعرفتنا الخاصة بدستورنا البائس في أي إسعاف. ولكن إذا كنتم ترون أنه من المستحسن لمصلحة المكان أن تجلبوا طبيباً فسوف أتولى هذه المهمة بكل سرور ولا شك عندي في نجاحها. يمكنني أن أضع قريباً كل ما يلزم من الحديد في النار. أما أن أذهب إلى ساندیتون

بنفسي، فهذا أمر مستحيل. ويحزنني أن أقول إنني لا أجرؤ على المحاولة، ولكن مشاعري تخبرني بوضوح أن هواء البحر في حالتي الحالية قد يكون سبب موتي. و لن يتركني أحد من رفاقي الأعزاء و إلا شجعتهم على النزول إليك لمدة أسبوعين. لكني أشك في أن أعصاب سوزان على قدر الجهد المبذول. لقد عانت كثيراً من الصداع، وقد خففت عنها ست علقات في اليوم الواحد لمدة عشرة أيام معاً من آلامها إلى درجة أننا رأينا من الصواب أن نغير تدابيرنا واقتنعت بعد الفحص أن كثيراً من الشر يكمن في لثتها، فأقنعتها بأن تهاجم الاضطراب هناك، فخلعت ثلاثة أسنان وهي الآن أفضل حالاً بلا ريب، ولكن أعصابها مضطربة كثيراً. إنها لا تستطيع الكلام إلا همساً، وقد أغمي عليها مرتين هذا الصباح على آرثر المسكين وهو يحاول أن يكبح سعالها. يسعدني أن أقول أنه بخير بما فيه الكفاية ولكنني أخشى على كبده. لم أسمع شيئا من سيدني منذ أن كنتما معا في المدينة، ولكنني أستنتج أن خطته إلى جزيرة وايت لم تتم و إلا كنا سنراها في طريقها. و إننا نتمنى لك بإخلاص شديد موسماً طيباً في ساندیتون، وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نساهم في عالمك العادل شخصياً، فإننا نبذل قصارى جهدنا لنرسل لك صحبة تستحق أن تكون في صحبتك ونعتقد أننا نستطيع أن

نعتمد عليك في تأمين عائلتين كبيرتين، إحداهما هندية ثرية من ساري والأخرى من مدرسة داخلية للبنات أو أكاديمية محترمة جداً في كامبرويل، ولن أخبرك كم من الناس قد وظفتهم في الشركة - عجلة في عجلة - ولكن النجاح أكثر من أن يعوض. تفضلوا بقبول فائق الاحترام".

"حسنا"، قال السيد باركر، وهو ينهيها. "على الرغم من أنني أجرؤ على القول بأن سيدني قد يجد في تلك الرسالة شيئاً مسلياً للغاية ويجعلنا نضحك لنصف ساعة معاً، إلا أنني أعلن عن نفسي أنني لا أرى فيها إلا ما هو مثير للشفقة أو ما هو جدير بالتصديق. فمع كل ما يعانونه من معاناتهم، فأنت ترى كم هم مشغولون في تعزيز خير الآخرين! حريصين جداً على ساندیتون! عائلتان كبيرتان إحداهما لبيت بروسبكت هاوس على الأرجح، والأخرى للبيت رقم اثنين في دنهام أو البيت الأخير من الشرفة مع وجود أسرة إضافية في الفندق. لقد أخبرتك بأن أختي كانت امرأة ممتازة آنسة هيوود ".

قالت شارلوت: "وانا متأكدة من أنها يجب أن تكون غير عادية جدا". "أنا مندهشة من الأسلوب المبهج للرسالة، بالنظر للحالة التي تبدو عليها الشقيقتان .

ثلاثة أسنان تم خلعهم في وقت واحد-مرعب! إن أختك ديانا تبدو مريضة إلى أبعد الحدود، لكن أسنان أختك سوزان الثلاثة هذه أكثر إيلاماً من البقية ".

"أوه، لقد اعتادوا على العملية - كل عملية - ولديهم مثل هذه القوة "!

"أجرؤ على القول إن أخواتك يعرفن ما يتحدثن عنه، لكن يبدو أن تدابيرهن تلامس الحدود القصوى. أشعر بأنني في أي مرض يجب أن أكون حريصًا جدًا على المشورة المهنية، حتى أنني لا أغامر كثيرًا لنفسي أو لأي شخص أحببته! ولكن بعد ذلك، لقد كنا عائلة سليمة لا أستطيع أن أحكم منها على ما يمكن أن تفعله عادة التداوي الذاتي ."

"قالت السيدة باركر: "لماذا أعترف بالحقيقة، اعتقد ان الآنسة باركر تتمادى في بعض الأحيان. وكذلك أنتِ، حبيبتي، كما تعلمين. غالبا ما تعتقدين بأنهم سيكونون أفضل حالا لو تركوا أنفسهم لوحدهم أكثر وخصوصا آرثر .

أعلم بأنك تظنين بأنه من المؤسف بأنهم يعطونه مثل هذا الدور لمرضه ".

"حسنا، حسنا،، عزيزتي "ماري"، أعترف لكِ بأنه من المؤسف لآرثر" المسكين أن يكون في مثل هذا الوقت من حياته قد شجعه المرض على أن يستسلم للوعكة. إنه لمن سوء حظه أن يتخيل نفسه مريضاً جداً لأي مهنة ويجلس في الواحدة والعشرين، من أجل ثروته الصغيرة، دون أن يفكر في

محاولة تحسينها أو الانخراط في أي مهنة قد تكون مفيدة له أو لغيره. ولكن دعونا نتحدث عن أشياء أكثر متعة. هاتان العائلتان هما بالضبط ما نريده. ولكن هناك شيء في متناول اليد أكثر متعة - مورغان مع "عشاءه

الفصل السادس

تحركت الحفلة بسرعة كبيرة بعد العشاء. وقد لا يرضى مستر باركر إلا بزيارة مبكرة للمكتبة وكتاب الاشتراك في المكتبة؛ وكانت شارلوت مسرورة برؤية أكبر قدر ممكن وبأسرع ما يمكن حيث كان كل شيء جديداً. وكانا في أهدأ جزء من اليوم في مكان السقاية، حيث كانت الأعمال المهمة التي لا بد منها لتناول الطعام أو الجلوس بعد العشاء تكاد تكون كلها مساكن مأهولة .

وقد ترى هنا وهناك شيخاً وحيداً عجوزاً وحيداً كان مضطراً إلى التحرك مبكراً والمشي من أجل الصحة؛ ولكن على العموم كان المكان خالياً من الرفقة تماماً، وكان المكان خالياً هادئاً على الشرفة والمنحدرات والرمال .

كانت الدكاكين مهجورة. وبدت القبعات المصنوعة من القش والدانتيل المعلقة متروكة لمصيرها في المنزل وخارجه، وجلست السيدة ويتبي في المكتبة في غرفتها الداخلية تقرأ إحدى رواياتها الخاصة لعدم وجود عمل. أما قائمة المشتركين فكانت عادية. فالسيدة دنهام، والآنسة بريتون، والسيد والسيدة باركر، والسير إدوارد دنهام، والآنسة دنهام، الذين يمكن أن يقال إن أسماءهم تتصدر الموسم، لم يكن يليهم أفضل منهم: السيدة ماثيوز، والآنسة

ماثيوز، والآنسة إي. ماثيوز، الآنسة هـ. ماثيوز؛ والدكتور والسيدة براون؛ والسيد ريتشارد برات؛ والملازم سميث ر.ن.؛ والكابتن ليتل لايمهاوس؛ والسيدة جين فيشر، والآنسة فيشر، والآنسة سكروجز؛ والقس السيد هانكينغ؛ والسيد بيرد المحامي في نزل غرايز؛ والسيدة ديفيس والآنسة ميريويذر .

لم يستطع السيد باركر إلا أن يعتقد أن القائمة لم تكن فقط أقل عددا مما كان يأمل. لقد كان شهر يوليو فقط، على أية حال، وكان شهري أغسطس وسبتمبر. والى جانب ذلك، كانت العائلات العظيمة الموعودة في ساري و كامبرويل عزاء جاهزا دائما .

وحضرت السيدة ويتبي على الفور بعد استراحتها الأدبية مسرورة برؤية مستر باركر الذي كانت أخلاقه قد أوصت به الجميع، وانشغلوا جميعاً في مختلف المجاملات والاتصالات، بينما كانت شارلوت بعد أن أضافت اسمها إلى القائمة كأول عرض لنجاح الموسم، مشغولة ببعض المشتريات العاجلة لخير الجميع، بمجرد أن استطاعت الآنسة ويتبي أن تنزل من حمامها بكل ما لديها من تجعيدات لامعة وحلي ذكية لتنتظره .

وكانت المكتبة بالطبع تعرض كل شيء: كل الأشياء التي لا فائدة منها في العالم والتي لا يمكن الاستغناء عنها؛ وبينها الكثير من المغريات الجميلة، ومع كل هذا القدر من حسن النية للسيد باركر الذي يشجع على الإنفاق، بدأت شارلوت تشعر أن عليها أن تتفقد نفسها - أو بالأحرى فكرت في أنها في الثانية والعشرين من عمرها لا عذر لها في غير ذلك - وأنه لا يليق بها أن تنفق كل مالها في أول مساء. التقطت كتاباً، وصادف أن كان كتاباً لكاميلا. ولم يكن لديها كاميلا الصغيرة، ولم يكن في نيتها أن تضيق بها؛ لذلك انصرفت عن أدراج الخواتم والدبابيس، وكتمت مزيداً من الإلحاح، ودفعت ثمن ما اشترت .

وكان من دواعي ارتياحها الخاص أن ينعطفن بعد ذلك على الجرف؛ ولكن عند خروجهن من المكتبة قابلتهن سيدتان كان وصولهما ضرورياً: الليدي دنهام والآنسة بريتون. وكانتا قد ذهبتا إلى منزل ترافالغار وتوجهتا بعد ذلك إلى المكتبة؛ وعلى الرغم من أن الليدي دنهام كانت أكثر نشاطاً من أن تعتبر السير ميلاً واحداً أمراً يتطلب الراحة، وتحدثتا عن العودة إلى المنزل مباشرة، فإن آل باركر كانوا يعلمون أن الإسراع بالعودة إلى المنزل واضطرارها إلى

تناول الشاي معهم يناسبها أكثر؛ وهكذا استسلمت مسيرة الجرف للعودة الفورية إلى المنزل .

قال سيادته: "لا، لا". "لن أجعلك تعصرين الشاي على حسابي. أعلم أنك تحبين الشاي في وقت متأخر .

ساعاتي المبكرة لا أريد أن أضع جيراني في حرج

لا، لا، آنسة كلارا وأنا سأعود لشائي الخاص .

لقد خرجنا بدون تفكير آخر أردنا فقط رؤيتك والتأكد من مجيئك حقاً، لكننا سنعود لتناول الشاي الخاص بنا".لى المائدة."

غير أنها شقت طريقها إلى بيت ترافالغار ودخلت غرفة الرسم في هدوء تام دون أن يبدو عليها أنها سمعت كلمة من أوامر السيدة باركر للخادم عند دخولها بإحضار الشاي مباشرة. وكان عزاء شارلوت عن فقدانها لنزهتها أن وجدت نفسها في صحبة أولئك الذين أثار فضولها لرؤيتهم حديث الصباح. ألقت نظرة فاحصة عليهم. كانت الليدي دنهام متوسطة القامة، متينة، منتصبة، يقظة في حركاتها، ذات عينين ثاقبتين ونظرات راضية، ولكن وجهها لم يكن مزعجاً؛ وعلى الرغم من أن أسلوبها كان فظاً غليظاً كعادة من تفتخر بأنها تتكلم بحرية، فقد كان فيها من حسن الدعابة والود ما كان يبعث

على حسن النية - كياسة واستعداد للتعرف على شارلوت نفسها، وداً وترحيباً بصديقاتها القديمات مما كان يبعث على حسن النية. أما الآنسة بريتون، فقد كان مظهرها يبرر ثناء السيد باركر عليها لدرجة أن شارلوت كانت تعتقد أنها لم تر في حياتها شابة أجمل منها أو أكثر إثارة للاهتمام .

فقد كانت طويلة القامة أنيقة، متناسقة القوام، ذات بشرة رقيقة وعينين زرقاوين ناعمتين، متواضعة لطيفة ولكنها رشيقة بطبيعتها، ولم تر شارلوت فيها إلا أكمل تمثيل لأي بطلة يمكن أن تكون أجمل وأشد فتنة في كل المجلدات الكثيرة التي تركوها على رفوف السيدة بريتون في وايتبي .

وربما يرجع ذلك جزئياً إلى أنها كانت قد خرجت لتوها من مكتبة متداولة ولكنها لم تستطع أن تتخلى عن فكرة البطلة الكاملة كلارا بريتون. كان وضعها مع الليدي دنهام في صالحها كثيراً! لقد بدت وكأنها وضعت معها عن قصد لكي يساء استخدامها. يبدو أن الفقر والاعتماد على الغير مع هذا الجمال والجدارة لم يتركا لها أي خيار في العمل.

ولم تكن هذه المشاعر ناشئة عن روح الرومانسية التي كانت تشعر بها شارلوت نفسها. كلا، فقد كانت شابة رزينة جداً، تقرأ الروايات بما فيه الكفاية لتغذي خيالها بالتسلية، ولكنها لم تكن متأثرة بها تأثراً مفرطاً على الإطلاق؛

وبينما كانت تستمتع في الدقائق الخمس الأولى بتخيل الاضطهاد الذي يجب أن يكون من نصيب كلارا المثيرة للاهتمام، ولا سيما في شكل سلوك أكثر همجية من جانب الليدي دنهام، لم تجد أي تردد في الاعتراف بذلك وهي تلاحظ أنهما يبدوان على علاقة مريحة جداً. ولم تكن ترى في الليدي دنهام ما هو أسوأ من ذلك النوع من الشكليات القديمة التي كانت تناديها دائماً بالآنسة كلارا؛ ولا ما هو مستهجن في درجة الاحترام والاهتمام الذي كانت كلارا توليه لها. فمن ناحية بدت لها من ناحية أنها كانت تبدو لطيفة حامية للطف، ومن ناحية أخرى ممتنة ومحترمة بمودة .

تحول الحديث بالكامل إلى ساندیتون وعدد زوارها الحاليين وفرص الموسم الجيد .

وكان من الواضح أن الليدي دنهام كانت أكثر قلقاً وخوفاً من الضياع من زميلتها. فقد كانت تريد أن يمتلئ المكان بسرعة أكبر، وبدا أن لديها الكثير من المخاوف المزعجة بشأن السكن الذي كان يؤجره بعض الأمثلة من الباطن. ولم تنسى الآنسة ديانا باركر العائلتين الكبيرتين اللتين كانتا في منزلها .

"جيد جدا، جيد جدا"، قالت سيادتها. "عائلة هندية غربية ومدرسة. هذا يبدو جيدا. سيجلب المال ".

ولاحظ السيد باركر: "لا أحد ينفق بحرية أكثر من الهنود الغربيين ."

"نعم، لقد سمعت ذلك؛ ولأنهم يملكون حقائب يد مليئة بالخيالات، ربما مساوية لعائلاتكم الريفية القديمة. ولكن أولئك الذين يبعثرون أموالهم بحرية تامة لا يظنون أبداً أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً يضرهم برفع أسعار الأشياء. ولقد سمعت أن هذا هو الحال فعلاً مع جراحكم في الغرب. و إذا جاءوا بيننا ليرفعوا أسعار ضروريات حياتنا، فلن نشكرهم كثيراً يا سيد باركر."

"يا سيدتي العزيزة، لا يمكن أن يزيدوا في أسعار السلع الاستهلاكية إلا بمثل هذا الإقبال غير العادي عليها، ومثل هذا الانتشار للمال بيننا لا بد أن يفيدنا أكثر مما يضرنا. إن جزارينا وخبازينا وأصحاب الدكاكين عموماً لا يمكن أن يغتنوا دون أن يجلبوا لنا الرخاء. و إذا لم يربحوا، فلا بد أن تكون إيجاراتنا غير مستقرة؛ ولا بد أن يكون ربحنا في النهاية في زيادة قيمة منازلنا بنسبة ربحهم ."

"حسنًا. لكني لا أريد أن أربي لحوم الجزارين. وسأحتفظ به طالما أستطيع. نعم، تلك السيدة الشابة تبتسم كما أرى. أجرؤ على القول بأنها تظنني مخلوقاً غريباً؛ لكنها - أنا سأتعامل مع هذه الأمور بنفسي في الوقت المناسب. أجل، أجل يا عزيزتي، اعتمدي على أنك ستفكرين في ثمن لحم الجزار في الوقت المناسب، ولكنك لا تستطيعين ذلك؛ ولكن لا يمكن أن يحدث ذلك فهناك غرفة من الخدم الذين يجب أن تطعميهم مثلي. وأعتقد أن الذين لديهم أقل عدد من الخدم هم الأفضل. أنا لست امرأة متباهية كما يعلم الجميع، ولولا ما أدين به لذكرى السيد هوليس المسكين لما كنت لأتبع بيت ساندیتون كما أفعل. هذا ليس من أجل سعادتي حسنا، سيد باركر، والأخرى مدرسة داخلية، مدرسة داخلية فرنسية، أليس كذلك؟ ليس سيئا في ذلك. سيمكثون فيها ستة أسابيع. ومن بين هذا العدد، من يدري، ولكن البعض قد يستهلكون ويريدون حليب الحمير؛ ولدي حماران حلوبان في الوقت الحالي. ولكن ربما يمكن أن يؤذي الصغيران الأثاث، وآمل أن يكون لهما مربية جيدة وقوية تعتني بهما."

لم يكن للسيد باركر المسكين فضل على الليدي دنهام أكثر مما كان له من أخواته في الغرض الذي جاء به إلى ويلينجدن .

"يا الهي! سيدي العزيز"، لقد صرخت قائلة: "يا الهي! سيدي العزيز". "كيف أمكنك التفكير في شيء كهذا؟ أنا آسفة جدا لما تعرضت له من حادث، ولكنك تستحق ذلك. !اذهب وراء الطبيب لماذا، ماذا علينا أن نفعل بطبيب هنا؟ إن وجود طبيب في متناول أيدينا سيشجع خدمنا والفقراء الذين يتخيلون أنفسهم مرضى. أوه، صلاة، ليس لدينا رجال القبائل في ساندیتون. نحن نسير على ما يرام كما نحن هناك البحر والفلوات وحميرنا الحلوب. وقد أخبرت السيدة ويتبي أنه إذا طلب أحدكم حصاناً للحجرة فيمكنه الحصول عليه بسعر معقول - حصان غرفة السيد هوليس المسكين جيد كالجديد - وماذا يريد الناس أكثر من ذلك؟ ها أنا ذا قد عشت سبعين سنة طيبة في هذا العالم ولم أتناول الطب مرتين قط، ولم أر وجه طبيب في حياتي على حسابي الخاص. وأعتقد حقاً أنه لو أن عزيزي المسكين السير هاري لم ير طبيباً أيضاً لكان حياً الآن. عشرة أتعاب، واحدة بعد الأخرى، أخذها الرجل، وأرسله خارج العالم. أتوسل إليك سيد باركر، لا أطباء هنا ".

لقد أحضرت أغراض الشاي .

"أوه، عزيزتي السيدة "باركر" - حقا لا يجب عليك - لماذا تفعلين ذلك؟ كنت على وشك أن أتمنى لكِ مساء الخير لكن بما أنكِ جارة جيدة، أظن أنه يجب أن نبقى أنا و الآنسة كلارا.

الفصل السابع

جلبت شهرة عائلة باركر بعض الزوار في صباح اليوم التالي؛ وكان من بينهم السير إدوارد دنهام وأخته اللذان كانا في منزل ساندیتون وقادا السيارة ليقدما تحياتهما؛ وبعد أن أديت واجب كتابة الرسائل، كانت شارلوت قد استقرت مع السيدة باركر في غرفة الرسم في الوقت المناسب لرؤيتهم جميعاً. كانت عائلة دنهام هي الوحيدة التي أثارت اهتماما خاصا. وكانت شارلوت مسرورة بإكمال معرفتها بالعائلة عن طريق التعرف عليهم؛ ووجدتهم، النصف الأفضل على الأقل - لأن الجميع كانوا عزاباً، وقد يظن أحياناً أن الرجل المحترم هو النصف الأفضل من الزوج - لا يستحقون أن يلاحظوا. وكانت الآنسة دنهام شابة وسيمة، ولكنها كانت باردة متحفظة، تعطي فكرة من تشعر بعاقبة أمرها بالفخر وفقرها بالسخط، وكانت في الحال مستغرقة في الحاجة إلى زاد أرقى من مجرد العربة التي كانوا يستقلونها، وكان عريسهم لا يزال في نظرها رائداً. وكان السير إدوارد متفوقاً عليها في هيئته وأسلوبه - وكان وسيماً بالتأكيد، ولكنه كان أكثر ما يلفت النظر لحسن خطابه ورغبته في الاهتمام و إضفاء السرور. وكان يدخل الغرفة بشكل ملحوظ، ويتحدث

كثيراً - وكثيراً إلى شارلوت التي تصادف أن يكون في مكانها - وسرعان ما وجدت أن له وجهاً وسيماً وحلاوة صوت مقبولة جداً وحواراً كثيراً. فأعجبت به. وكانت على الرغم من رجاحة عقلها تظنه لطيفاً ولم يساورها الشك في اكتشافها له أيضاً، وهو أن ينهض منها غير مدركة لحركة أختها في الذهاب ومثابرة في موقفها وكلامها. أنا لا أعتذر عن غرور بطلتي البطلة. فإذا كان في الدنيا في أيامها عوانس في يومها أبلد منها همة وأشد إهمالاً للسرور، فإني لا أعرفهن ولا أتمنى أن أعرفهن أبداً .

وأخيراً، ومن النوافذ الفرنسية المنخفضة لغرفة الرسم التي تطل على الطريق وعلى كل الطرقات في الأسفل، لم يكن في وسع شارلوت والسير إدوارد الجالسين إلا أن يراقبا الليدي دنهام والآنسة بريتون وهما يسيران - وقد طرأ على الفور تغير طفيف على وجه السير إدوارد - مع نظرة قلقة إليهما وهما يتقدمان - ثم عرض على أخته في وقت مبكر - ليس فقط أن يتحركا، بل أن نسير معاً إلى الشرفة - الأمر الذي جعل شارلوت تتخيل أن السير إدوارد قد استثار خيالها على عجل، وشفى من حمى نصف الساعة، ووضعها في موقف يسمح لها بالحكم على مدى سروره عندما يرحل السير إدوارد. "ربما كان هناك قدر كبير من اللطف في هوائه وخطابه؛ ولم يضره لقبه شيئاً."

وسرعان ما عادت إلى صحبته. عندما أخلى منزلهم من زوار الصباح، خرج المتنزهون بمفردهم. كانت الشرفة هي نقطة الجذب للجميع. وكان على كل من يمشي أن يبدأ من المصطبة؛ وهناك جلسوا على أحد المقعدين الأخضرين بالقرب من الممشى الحصوي فوجدوا حزب دنهام متحدين؛ ولكن على الرغم من اتحادهم في الظاهر، فقد انقسموا بوضوح مرة أخرى - فالسيدتان العلويتان كانتا في أحد طرفي المقعد، والسير إدوارد والآنسة بريتون في الطرف الآخر. وقد أخبرتها النظرة الأولى لشارلوت أن السير إدوارد كان يبدو عليه أنه عاشق. لا يمكن أن يكون هناك شك في إخلاصه لكلارا. أما كيف استقبلته كلارا فقد كان أقل وضوحاً، ولكنها كانت تميل إلى الاعتقاد بأنه لم يكن مخلصاً لها؛ لأن جلوسها معه على هذا النحو (الذي ربما لم يكن في وسعها أن تمنعه) كان جوّها هادئاً وقوراً .

أما ما كانت تفعله المرأة الشابة في الطرف الآخر من مقعد التوبة، فقد كان واضحاً لا تخطئه العين. وكان الاختلاف في وجه الآنسة دنهام، والتغير من الآنسة دنهام الجالسة في عظمة باردة في غرفة رسم السيدة باركر لتحرسها من صمت الآخرين المتلهفين، إلى الآنسة دنهام عند مرفق الليدي دنهام، تستمع وتتحدث باهتمام مبتسم أو بلهفة متلهفة، كان لافتاً للنظر - ومسلّياً

جداً - أو كئيباً جداً، تماماً كما قد يسود الهجاء أو الأخلاق. لقد كانت شخصية الآنسة دنهام حاسمة تماماً مع شارلوت. كان السير إدوارد بحاجة إلى مزيد من الملاحظة. فقد فاجأها بأن ترك لكلارا في الحال كل الانضمام والموافقة على السير، ووجه اهتمامها كله إلى نفسها.

وتوقف على مقربة منها، وبدا أنه يريد أن يفصلها قدر الإمكان عن بقية الرفقة ويخصها بحديثه كله. فأخذ يتحدث بنبرة فيها ذوق وشعور كبيرين عن البحر والشاطئ، وأخذ يركض بنشاط في كل العبارات المعتادة التي تستخدم في مدح سموهما ووصف ما يثيرانه في النفس من عواطف لا يمكن وصفها. إن عظمة المحيط في العاصفة، وسطحه الزجاجي في الهدوء، ونوارسه وسمائه وأعماق هاويته، وتقلباته السريعة، وخداعه الرهيب، وبحارته التي تغريها الشمس وتغرقها العاصفة المفاجئة، كانت كلها لمسات متلهفة سلسة متحمسة - ربما كانت مألوفة ولكنها كانت تحملها جيداً من شفتي السير إدوارد الوسيم - ولم يكن في وسعها إلا أن تظنه رجلاً ذا إحساس - حتى بدأ يذهلها بكثرة اقتباساته وحيرة بعض عباراته .

"قال لها: "هل تذكرين أبيات سكوت الجميلة عن البحر؟ أوه، يا له من وصف ينقلونه! إنها لا تفارق أفكاري عندما أمشي هنا. إن الرجل الذي يستطيع أن

يقرأها دون أن يتأثر بها لا بد أن يكون لديه أعصاب قاتل! لا سمح الله أن أقابل مثل هؤلاء الناس، أنا رجل أعزل ."

"ما الوصف الذي تقصده؟" قالت شارلوت. " لا أتذكر أي شخص في هذه اللحظة، من البحر، في أي من قصائد سكوت ".

"ألا تتذكرين حقاً؟ ولا أنا أتذكر البداية في هذه اللحظة. لكن لا يمكنك أن تنسى وصفه للمرأة - "آه! المرأة في ساعاتنا السهلة" - "لذيذ! لذيذة! لو أنه لم يكتب شيئاً آخر لكان خالداً. ثم مرة أخرى، ذلك العنوان الذي لا مثيل له في العاطفة الأبوية - 'بعض المشاعر التي تعطى للبشر مع أن الأرض فيها أقل من السماء الخ.'

"ولكن بينما نحن في موضوع الشعر، ما رأيك يا آنسة هيوود في أبيات بيرنز إلى ماريه؟ أوه! هناك رثاء في مجنون واحد! إذا كان هناك رجل يشعر، فهو بيرنز. إن مونتغمري يملك كل نار الشعر، و وردزورث يملك روحه الحقيقية، وكامبل في ملذاته التي تبعث الأمل قد لامس أقصى ما في أحاسيسنا من أحاسيس - "مثل زيارات الملائكة، قليلة ومتباعدة ."

أيمكنك أن تتصور شيئاً أكثر إخضاعاً، وأكثر ذوباناً، وأكثر ثقلا بالسمو العميق من هذا البيت؟ لكن بيرنز-أنا أعترف بإحساسي بأفضليته يا آنسة هيوود. إذا كان سكوت لديه عيب فهو الحاجة إلى العاطفة .

إن الرجل الذي لا يستطيع أن ينصف المرأة في صفاتها هو الذي أحتقره. والواقع أن ومضة من العاطفة تشع منه أحياناً، كما في الأبيات التي كنا نتحدث عنها - أوه. المرأة في ساعاتنا السهلة لكن بيرنز دائمًا ما يكون مشتعلًا .

لقد كانت روحه هي المذبح الذي جلست فيه المرأة الجميلة مقدسة، وروحه تنفست بحق البخور الخالد الذي يستحقه لها ."

"أوه، لا، لا." صرخ السير إدوارد في نشوة. "لقد كان كله حماسة وصدق! قد تقوده عبقريته وقابلياته إلى بعض الانحرافات، ولكن من هو الكامل؟

لقد كان من الغلو في النقد، وكان من الفلسفة الزائفة أن نتوقع تذلل العقل العامي من روح العبقرية السامية. ربما كانت فورات الموهبة التي تثيرها المشاعر العاطفية في صدر الإنسان لا تتفق مع بعض آداب الحياة المبتذلة؛ ولا تستطيعين يا آنسة هيوود العادلة - متحدثة في جو من الشعور العميق

- أن تكوني أنتِ يا آنسة هيوود حكما عادلا على ما يمكن أن يحرك الرجل ليقول أو يكتب أو يفعل بدوافع سيادية من الحماسة غير المحدودة .

وكان هذا كله حسناً جداً، ولكن إذا كانت شارلوت لم تفهمه على الإطلاق على أنه ليس أخلاقياً على الإطلاق؛ و إلى جانب ذلك لم تكن راضية بأي حال من الأحوال عن أسلوبها الاستثنائي في المجاملة، فأجابت في وقار: "أنا حقاً لا أعرف شيئاً عن الأمر. إنه يوم ساحر. أعتقد أن الرياح، كما أتصور، يجب أن تكون جنوبية ".

"ريح سعيدة، ريح سعيدة، تشغل أفكار الآنسة هيوود "!

لقد بدأت تظنه سخيفاً بصراحة. اختياره للمشي معها تعلمت أن تفهمه. لقد تم ذلك لإغضاب الآنسة بريتون. كانت قد قرأته، مع نظرة أو اثنتين من نظراته القلقة؛ ولكن لم يكن مفهوماً لماذا كان عليه أن يتحدث بكل هذا الهراء، إلا إذا لم يكن يستطيع أن يفعل أفضل من ذلك، لم يكن مفهوماً. فقد كان يبدو عاطفيًا جدًا، وممتلئًا بهذا الشعور أو ذاك، ومدمنًا على كل الكلمات الصعبة في آخر صيحات الموضة، ولم يكن لديه عقل صافٍ جدًا، كما افترضت وكان يتكلم كثيرًا عن ظهر قلب. ويمكن للمستقبل أن يفسر ذلك أكثر. ولكن عندما كان هناك اقتراح لدخول المكتبة، شعرت أنها اكتفت من السير إدوارد

لصباح واحد وقبلت عن طيب خاطر دعوة الليدي دنهام للبقاء معها في الشرفة.

وتركهم الآخرون جميعاً، والسير إدوارد بنظرات شجاعة يائسة من تمزيق نفسه، واتحدوا جميعاً في حديثهم أي الليدي دنهام، كسيدة عظيمة حقيقية، تكلمت ولم تتحدث إلا عن همومها الخاصة، وشارلوت تصغي مستمتعة بالنظر إلى التباين بين رفيقيها. ولا ريب أنه لم يكن في حديث الليدي دنهام أي سلالة من المشاعر المشكوكة أو العبارات التفسيرية الصعبة. وأمسكت بذراع شارلوت في سهولة من شعرت بأن أي نصيحة منها شرف لها، وتعبير عن تأثير نفس الأهمية الواعية أو الحب الطبيعي للكلام، وقالت في الحال بنبرة من الرضا الشديد وبنظرة من الحذق المقوس: (إن الآنسة إستر تريدني أن أدعوها هي وأخاها لقضاء أسبوع معي في بيت ساندیتون كما فعلت في الصيف الماضي. ولكن لا ينبغي لي أن أفعل، فقد حاولت أن تتخطاني في منتصف الليل .

وحاولت أن تحوم حولي في كل الاتجاهات في مديحها لهذا وثنائها على ذاك؛ ولكني رأيت ما كانت عليه .

رأيت كل شيء. أنا لا أنخدع بسهولة يا عزيزتي ".

لم تستطع شارلوت أن تفكر في شيء أكثر إيذاءً من الاستفسار البسيط "السير إدوارد والآنسة دنهام؟ "

"نعم، عزيزتي. شبابي، كما أدعوهم أحياناً، لأني آخذهم بيدي كثيراً. لقد كانا معي في الصيف الماضي، في مثل هذا الوقت تقريبا، لمدة أسبوع؛ من الاثنين إلى الاثنين؛ وكانا سعيدين وممتنين جدا .

لأنهم صغار جدا يا عزيزتي. انا لا أريدك ان تظني اني لاحظتهم فقط من اجل السيد هاري العزيز المسكين. لا لا؛ انهم يستحقون ذلك جدا، والا صدقيني لن يكونوا بصحبتي كثيرا .

أنا لست المرأة التي تساعد أي شخص معصوب العينين .

لطالما كنت حريصة على معرفة ما أتحدث عنه ومن أتعامل معه قبل أن أرفع إصبعاً. لا أعتقد أنني تعرضت للأذى كثيراً في حياتي. ومن الجيد للمرأة أن تقول أنها تزوجت مرتين. السيد هاري العزيز المسكين، بيني وبينه، فكرت في أن أحصل على المزيد أولا. ولكن، مع تنهيدة صغيرة، لقد رحل، ويجب ان لا نجد عيباً في الموتى. لا يمكن لأحد أن يعيش أسعد مما عشنا معا، وقد كان رجلا شريفا جدا، رجلا نبيلا من العائلة العريقة. وعندما مات أعطيت السير إدوارد ساعته الذهبية".

قالت هذا الكلام وهي تنظر إلى رفيقتها التي ألمحت إلى حقها في أن تترك انطباعاً عظيماً؛ ولما رأت في وجه شارلوت أي شيء من الدهشة أضافت بسرعة: (إنه لم يوص به لابن أخيه يا عزيزتي. لم تكن وصية. لم تكن في الوصية. لقد أخبرني، وذلك لمرة واحدة فقط، أنه كان يرغب في أن يحصل ابن أخيه على ساعته؛ ولكن لم يكن من الضروري أن تكون إلزامية لو لم أخترها أنا ."

"جميل جداً بالفعل! وسيم جداً!" قالت شارلوت وهي مجبرة تماماً على إبداء الإعجاب .

"نعم يا عزيزتي، وليس هذا هو الشيء الجميل الوحيد الذي قمت به. لقد كنت صديقة متحررة جداً للسير إدوارد. والشاب المسكين، إنه بحاجة ماسة إلى ذلك. فبالرغم من أنني أنا الأرملة فقط يا عزيزتي وهو الوريث، إلا أن الأمور لا تقف بيننا كما هي عادة بين هذين الطرفين. أنا لا أحصل على شلن من تركة دنهام السير إدوارد ليس لديه أي مدفوعات لي إنه لا يقف في المقدمة، صدقيني. إنه يساعد نفسه بنفسه "

"بالفعل! إنه شاب وسيم جدا، وأنيق بشكل خاص في خطابه".

قالت ذلك أساساً لتقول شيئاً ما، ولكن شارلوت أدركت على الفور أنه يفتح لها باب الشكوك فنظرت إليها الليدي دنهام نظرة فطنة وأجابت: (نعم، نعم، إنه حسن المنظر جداً. ومن المأمول أن تفكر سيدة ذات ثروة كبيرة في ذلك، لأن السير إدوارد يجب أن يتزوج من أجل المال. كثيرا ما تحدثنا أنا وهو عن هذه المسألة. إن شاباً وسيماً مثله يتجول مبتسماً ويغدق على الفتيات بالمجاملات، ولكنه يعلم أن عليه أن يتزوج من أجل المال. والسير إدوارد شاب ثابت جدا في الأساس ولديه أفكار جيدة جدا .

"وقالت شارلوت: "إن السير إدوارد دنهام، بمثل هذه الشخصية يمكن أن يكون متأكداً من الحصول على امرأة ذات ثروة إذا اختار ذلك ."

بدا هذا الشعور المجيد وكأنه يزيل الشكوك تماماً .

وصاحت الليدي دنهام قائلة: "نعم يا عزيزتي، هذا قول حكيم جداً". "ولو استطعنا أن نجلب وريثة شابة إلى ساندیتون! ولكن الوريثات نادرات بشكل وحشي! لا أعتقد بأننا لم نحصل على وريثة هنا أو حتى شريكة وريثة منذ أن كانت ساندیتون بيتاً عاماً. تأتي العائلات بعد العائلات، ولكن، على حد علمي، لا يوجد واحدة من كل مائة منهن لديها ممتلكات، سواء كانت أرضاً أو تمويلاً. دخل ربما، ولكن لا أملاك. رجال دين، ربما، أو محامون في

المدينة، أو ضباط بنصف راتب، أو أرامل لا يملكن إلا نقابة واحدة. وما خير ما يمكن أن يقدمه مثل هؤلاء الناس لأحد - إلا أنهم يأخذون بيوتنا الخالية، وبيننا وبينهم أعتقد أنهم حمقى لا يبقون في بيوتهم. والآن، إذا أمكننا أن نحصل على وريثة شابة يجب أن ترسل الوريثة إلى هنا من أجل صحتها، و إذا أمرت بشرب حليب الحمير يمكنني أن أمدها به، وحالما تتعافى دعها تقع في حب السير إدوارد"!

"ستكون فرصة بالفعل "

"الآنسة "إستر" يجب أن تتزوج من شخص ثري أيضاً يجب أن تجد زوجا غنيا. الفتيات الصغيرات اللاتي لا يملكن المال يجب أن يشفق عليهن كثيرا! ولكن، "بعد وقفة قصيرة، "إذا فكرت الآنسة إستر أن تقنعني بأن أدعوهم للقدوم والبقاء في منزل ساندیتون، ستكون مخطئة. لقد تغيرت الأمور معي منذ الصيف الماضي، كما تعلمين. لدي الآنسة كلارا معي الآن والتي تحدث فرقاً كبيراً ".

كانت تتكلم بجدية شديدة لدرجة أن شارلوت رأت فيها شارلوت في الحال دليلاً على تغلغلها الحقيقي، واستعدت لملاحظات أكثر تفصيلاً؛ ولكنها لم تعقبها إلا بقولها: "لا أتصور أن يكون منزلي ممتلئاً كفندق .

لا ينبغي لي أن أختار أن تستغرق الخادمتان وقتاً طويلاً في الصباح لتنظيف الغرف من الغبار .

لديهما غرفة الآنسة كلارا لترتيبها كما ترتب غرفتي كل يوم. لو كانت لديهما أماكن شاقة لطالبتا بأجور أعلى ".

لم تكن شارلوت مستعدة لاعتراضات من هذا النوع. لقد كان من المستحيل حتى أن تبدي تعاطفاً لدرجة أنها لم تستطع أن تقول شيئاً. وسرعان ما أضافت الليدي دنهام ببهجة كبيرة: "وفوق كل هذا يا عزيزتي يجب أن أملأ بيتي على حساب ساندیتون؟ إذا كان الناس يريدون أن يكونوا بالقرب من البحر، فلماذا لا يتخذون مساكن؟ هنا عدد كبير من المنازل الفارغة - ثلاثة منها على هذه الشرفة بالذات - ليس أقل من ثلاثة بيوت فارغة تحدق في وجهي في هذه اللحظة بالذات، وهي البيوت رقم ثلاثة وأربعة وثمانية. أما البيت الثامن، وهو البيت الذي يقع في الزاوية، فقد يكون كبيراً جداً بالنسبة لهم، ولكن أحد البيتين الآخرين بيتان صغيران لطيفان مريحان ومناسبان جداً لشاب محترم وأخته. وهكذا، يا عزيزتي، في المرة القادمة التي تبدأ فيها الآنسة إستر بالحديث عن رطوبة حديقة دنهام والسباحة الجيدة التي تقوم بها دائما،

سأنصحهما بأن يأتيا ويأخذا أحدها مسكنا لمدة أسبوعين. ألا تعتقدين بأن هذا سيكون عادلا جدا؟ الصدقة تبدأ من المنزل، كما تعلمين".

وكانت مشاعر شارلوت منقسمة بين التسلية والسخط، ولكن السخط كان له النصيب الأكبر والأوفر. فظلت محتفظة بوجهها وصمتت صمتاً مهذباً. ولم تستطع أن تتمادى في تساهلها أكثر من ذلك؛ ولكنها لم تستطع أن تصغي أكثر من ذلك، ولم تدرك إلا أن الليدي دنهام كانت لا تزال تتحدث بنفس الطريقة، وسمحت لأفكارها أن تتشكل في مثل هذا التأمل: (إنها شريرة. لم أتوقع أبداً شيئاً بهذا السوء.)

سيدي. لقد تحدث باركر بلطف شديد عنها. من الواضح أن حكمته لا تجعله يثق. إن طبيعته الطيبة تخدعه. انه كطيب القلب ليرى بوضوح. يجب أن أحكم بنفسي واتصالهم المتحيز جدا. فهو قد أقنعها بالانخراط في نفس المضاربة، ولأن غرضهما في ذلك الخط واحد، فهو يتصور أنها تشعر كما يشعر هو في غيرها. ولكنها لئيمة جداً جداً .

لا أرى فيها شيئا جيدا. مسكينة الآنسة بريتون وهي تجعل الجميع في اللؤم معها معها مسكين السير إدوارد وشقيقته - إلى أي حد جعلتهما الطبيعة محترمين لا يمكنني أن أقول إلى أي مدى - ولكنهما لا بد أن يكونا شريرين

في خنوعهما لها. وأنا شرير أيضاً في إعطائها اهتمامي بمظهر التملق لها.
فَإِذَا كَانَتْ غَنِيَّةً خَسِيسَةً... فَالْأَغْنِيَاءُ خَسِيسُونَ فِي خِسَّتِهَا"
وقالت شارلوت حالما تسنى لها أن تتكلم: "لقد قرأت العديد من قصائد بيرنز بسرور كبير". "ولكني لست شاعرة بما فيه الكفاية لأفصل تماماً بين شعر الرجل وشخصيته؛ و إن مخالفات بيرنز المعروفة عن المسكين تقطع كثيراً من استمتاعي بأبياته. أجد صعوبة في الاعتماد على صدق مشاعره كعاشق. فأنا لا أثق في صدق عاطفة رجل في مثل صفاته. لقد شعر وكتب ونسي."

الفصل الثامن

سارت السيدتان معاً إلى أن انضمت إليهما أخريات عندما غادرتا المكتبة وتبعهما شاب من ويتبي هارباً يحمل خمسة مجلدات تحت ذراع السير إدوارد؛ وقال السير إدوارد وهو يقترب من شارلوت: (لعلك تفهمين ما كان شغلنا. لقد أرادت أختي نصيحتي في اختيار بعض الكتب. لدينا ساعات فراغ كثيرة ونقرأ كثيراً. أنا لست قارئ روايات أعمى. أنا ببساطة مزبلة المكتبة العامة التي أحتقرها أشد الاحتقار .

إنك لن تسمعني أبداً أدعو إلى هذه المنقولات الصبيانية التي لا تفصل إلا مبادئ متنافرة غير قادرة على الاندماج، أو هذه الأنسجة الرديئة للأحداث العادية التي لا يمكن أن يستخلص منها أي استنتاجات مفيدة. وعبثاً أن نضعها في سكون أدبي؛ إننا لا نستخلص منها شيئاً يمكن أن يضيف إلى العلم، هل تفهمني أنا متأكد من ذلك؟

"لست متأكداً من أنني أفهمك. ولكن إذا وصفت لي نوع الروايات التي وافقت عليها، أجرؤ على القول بأنها ستعطي فكرة أوضح ."

"بكل سرور أيها السائل المنصف. إن الروايات التي أوافق عليها هي تلك التي تظهر الطبيعة البشرية بعظمة؛ تلك التي تظهرها في سمو الشعور القوي، مثل تلك التي تُظهر تطور العاطفة القوية من الجرثومة الأولى للقابلية الأولية إلى أعظم طاقات العقل نصف المُنحرف - حيث نرى الشرارة القوية لأسرى المرأة توقد مثل هذه النار في روح الإنسان التي تدفعه - و إن كان ذلك على حساب بعض الانحراف - من الخط الصارم للالتزامات البدائية إلى المخاطرة بكل شيء، والتجرؤ على كل شيء، وتحقيق كل شيء للحصول عليها .

هذه هي الأعمال التي أطالعها بسرور، وأرجو أن أقول، مع التحسين. فهي تقدم أجمل الصور للتصورات السامية، والآراء التي لا حدود لها، والحماسة غير المحدودة، والهمة التي لا تقهر، والقرار الذي لا يقهر؛ وحتى عندما يكون الحدث في الغالب مضاداً لمكائد الشخصية الرئيسية، بطل القصة القوي الحاضر في كل مكان، فإنه يتركنا ممتلئين بالعواطف السخية من أجله؛ فتخشع له قلوبنا. و إنه لمن التفلسف الزائف أن تزعم بأننا لا نشعر بتألقه أكثر مما نشعر بالفضائل الهادئة الكئيبة التي تتسم بها الشخصية المعارضة.

وَاسْتِحْسَانُنَا لِهَذِهِ الْأَخِيرَةِ إِنَّمَا هُوَ اسْتِحْسَانٌ إِيمَانِيٌّ فَقَطْ. إن هذه هي الروايات التي توسع القدرات البدائية للقلب؛ و إنه لا يمكن أن يهاجم المعنى أو أن يكون في ذلك أي تقصير في شخصية أكثر الناس معاداة للرجولة أن يكون على دراية بها. "إن استحساننا للأخيرة ليس إلا فلسفة زائفة لنؤكد أننا لا نشعر بأننا نغمرها بتألق سيرته أكثر مما نغمرها بهدوء وسوء أي شخصية معارضة. "إن من الفلسفة الزائفة أن نؤكد أننا لا نشعر بأننا نغمر بتألق سيرته أكثر مما نغمر بالفضائل الهادئة والمعتلة لأي شخصية معارضة. إن استحساننا لهذه الأخيرة ليس إلا استحساناً مرتبطا بدوافع الصدقة. هذه هي الروايات التي توسع القدرات البدائية للقلب، والتي لا يمكن أن تهاجم الإحساس أو أن تكون تقصيراً في شخصية أكثر الناس معاداة للبداوة أن يألفها ."

"قالت شارلوت: "إذا كنت أفهمك بشكل صحيح، فإن ذوقنا للروايات ليس واحداً على الإطلاق ."

وهنا كان عليهما أن ينفصلا، فالآنسة دنهام كانت متعبة جداً من كل ذلك ولم يكن بوسعها أن تبقى أكثر من ذلك.

والحق أن السير إدوارد، الذي حصرته الظروف في مكان واحد كثيراً، كان قد قرأ من الروايات العاطفية أكثر مما اتفق له. وكان قد استهواه في وقت مبكر كل ما كتبه ريتشاردسون من الأجزاء العاطفية والاستثنائية، وكان المؤلفون الذين بدا منذ ذلك الحين وكأنهم يسيرون على خطى ريتشاردسون، حتى أن الرجل الذي كان مصمماً على ملاحقة المرأة في تحد لكل ما يعارض الشعور والملاءمة قد شغل منذ ذلك الحين جزءاً كبيراً من ساعاته الأدبية، وشكل شخصيته. ومع انحراف في الحكم لا بد أن يعزى إلى أنه لم يكن بطبيعته قوي العقل، فإن ما كان يتمتع به شرير القصة من نبل وذكاء وحنكة ومثابرة قد فاق كل سخافاته وفظائعه مع السير إدوارد. وكان معه في هذا السلوك عبقرية وحماس وشعور؛ فقد كان مهتمًا بنفسه وملتهبًا وكان أكثر حرصاً على نجاحه، وأشد حزناً على مصائبه بأكثر مما كان يتصوره المؤلفون .

ومع أنه كان يدين بكثير من أفكاره إلى هذا النوع من القراءة، إلا أنه سيكون من الظلم أن نقول إنه لم يقرأ شيئاً آخر أو أن لغته لم تتكون على معرفة أعم بالأدب الحديث. فهو قد قرأ جميع مقالات العصر ورسائله وجولاته ومراجعاته؛ وبنفس سوء الحظ الذي جعله لا يستمد من دروس الأخلاق إلا

المبادئ الخاطئة ومن تاريخ إسقاطها والتحريض على الرذيلة إلا المبادئ الخاطئة والعبارات المتضمنة من أسلوب أكثر كتابنا استحساناً.

كان هدف السير إدوارد العظيم في الحياة هو أن يكون جذاباً .

فمع هذه المزايا الشخصية التي كان يعرف أنه يمتلكها، وتلك المواهب التي كان يدرك أنه يمتلكها أيضاً، كان يعتبر ذلك واجبه. كان يشعر بأنه قد تدرب على أن يكون رجلاً خطيراً على غرار آل لوفليس. وكان يعتقد أن اسم السير إدوارد في حد ذاته يحمل درجة معينة من السحر بالنسبة لها. أما أن يكون شهماً ومثابراً بشكل عام في المعرض، وأن يلقي خطباً جميلة على كل الفتيات الجميلات، فلم يكن ذلك إلا الجزء الأدنى من الشخصية التي كان عليه أن يلعبها .

أما الآنسة هيوود، أو أي فتاة أخرى من الفتيات اللاتي يتظاهرن بالجمال، فقد كان يحق له (حسب نظرته الخاصة للمجتمع) أن يتقرب إليها بمجاملة عالية ومديح متكلف لأقل معارفه. ولكن كلارا وحدها هي التي كان يخطط لها بجدية؛ لقد كانت كلارا هي التي أراد إغواءها .

وكانت غوايته مصممة جيداً. كان وضعها في كل شيء يناديه. لقد كانت منافسته لصالح الليدي دنهام؛ لقد كانت شابة فاتنة ومحبوبة ومعتمدة عليه.

وكان قد رأى في وقت مبكر جداً ضرورة هذه العلاقة الغرامية، وكان يحاول منذ وقت طويل أن يؤثر في قلبها ويزعزع مبادئها. ورأت كلارا من خلاله، ولم يكن لديها أدنى نية في أن تغريه؛ ولكنها تحملت معه بصبر كاف لتأكيد نوع التعلق الذي أثاره سحره الشخصي. لم تكن درجة أكبر من اليأس لتؤثر على السير إدوارد في الواقع. لقد كان مسلحاً ضد أعلى درجة من الازدراء أو النفور. فإذا لم يستطع أن يكسبها بالمودة فعليه أن يلبسها مطفأة. كان يعرف عمله. لقد كان لديه بالفعل العديد من الأفكار حول هذا الموضوع. و إذا كان مضطراً إلى التصرف، فلا بد أنه كان يريد بطبيعة الحال أن يفعل شيئاً جديداً، وأن يتفوق على من سبقوه؛ وشعر بفضول قوي لمعرفة ما إذا كان حي تمبكتو لا يستطيع أن يوفر بيتاً منفرداً مهيأ لاستقبال كلارا. ولكن نفقات التدابير على ذلك النمط البارع لم تكن، مع الأسف، ملائمة لميزانيته؛ وكان التعقل يفرض عليه أن يفضل الخراب والخزي على موضوع عواطفه إلى الأكثر شهرة.

الفصل التاسع

في يوم من الأيام، بعد وصول شارلوت إلى ساندیتون بوقت غير طويل، سعدت أن رأت، وهي صاعدة من الرمال إلى الشرفة عربة رجل نبيل مع خيول البريد واقفة على باب الفندق، وقد وصلت حديثاً وبكمية الأمتعة التي كانت قد نقلتها، وقد كان من المأمول أن تكون قد جلبت معها عائلة محترمة عازمة على الإقامة الطويلة .

و إذ كانت مسرورة بهذه الأخبار السارة للسيد والسيدة باركر اللذين كانا قد عادا إلى منزلهما قبل ذلك بفترة، ذهبت إلى بيت ترافالغار بأقصى ما يمكن أن تبقى من نشاط بعد أن صمدت في الساعتين الأخيرتين مع ريح شديدة تهب مباشرة على الشاطئ .

ولكنها لم تكد تصل إلى الحديقة الصغيرة حتى رأت سيدة تمشي خلفها بخطى سريعة دون أن تبعد عنها كثيراً؛ واقتنعت أنها لا يمكن أن تكون من معارفها، فعزمت على أن تسرع وتدخل المنزل إن أمكن قبلها. لكن سرعة السيدة الغريبة جعلت من المستحيل القيام بذلك. وكانت شارلوت قد

صعدت على الدرج ودقت الباب، ولكن الباب لم يكن قد فتح، عندما عبرت الأخرى الحديقة - وعندما ظهرت الخادمة كانتا مستعدتين لدخول المنزل .

وكانت سهولة دخول السيدة ونظرات مورغان إليها لحظة دهشة؛ ولكن لحظة أخرى جاءت بالسيد باركر إلى الصالة ليرحب بالأخت التي رآها من غرفة الرسم؛ وسرعان ما تعرفت شارلوت إلى الآنسة ديانا باركر. كان هناك الكثير من الدهشة ولكن كان هناك المزيد من السرور لرؤيتها. لم يكن هناك ما هو أجمل من استقبالها للزوج والزوجة. كيف وصلت الى هنا؟ ومع من؟ وكانا سعيدين جدا للعثور عليها في نفس الرحلة! وكان من البديهي أن تكون منتمية إليهما.

كانت الآنسة ديانا باركر في نحو الرابعة والثلاثين من عمرها، متوسطة الطول والنحافة؛ رقيقة الملامح لا مريضة؛ ذات وجه لطيف وعينين مفعمة بالحيوية؛ وكانت أخلاقها تشبه أخلاق أخيها في سهولتها وصراحتها، ولكن مع مزيد من الحزم وقلة الحلاوة في نبرتها. وبدأت في الحديث عن نفسها دون تأخير. وشكرتهما على دعوتهما، ولكن "لم يكن ذلك ممكناً، فقد جاء الثلاثة جميعهم وقصدوا أن يدخلوا المسكن ويقيموا فيه ."

"لقد جاء الثلاثة! ماذا! سوزان وآرثر! سوزان يمكن أن تأتي أيضا! هذا أفضل وأفضل ".

"نعم، لقد جئنا جميعاً. لا مفر من ذلك. لا شيء آخر يجب القيام به. ستسمعين كل شيء عن ذلك. لكن عزيزتي "ماري"، أرسلي في طلب الأطفال، أريد رؤيتهم ".

"وكيف ولدت "سوزان" الرحلة؟ وكيف حال "آرثر"؟ ولماذا لا نراه هنا معك؟ "

"لقد ولدته سوزان بشكل رائع. لم يغمض لها جفن من النوم لا في الليلة التي سبقت مغادرتنا ولا في الليلة الماضية في تشيتشيستر، وبما أن هذا ليس شائعاً معها كما هو شائع معي، فقد كنت أخشى عليها ألف خوف. ولكنها حافظت على رباطة جأشها بشكل رائع - ولم تصب بنوبة هستيرية ذات شأن حتى وصلنا إلى ساندیتون المسكينة العجوز، ولم تكن النوبة عنيفة جداً - وقد انتهت تقريباً عندما وصلنا إلى الفندق الذي تقيم فيه حتى خرجت من العربة في غاية العافية، ولم يساعدها في ذلك إلا مستر وودكوك. وعندما تركتها كانت تدير عملية التخلص من الأمتعة وتساعد العجوز سام في فك تشابك الصناديق. لقد أرادت حبها المفضل مع ألف أسف على أنها

كانت مسكينة لدرجة أنها لم تستطع أن تأتي معي. أما بالنسبة لآرثر المسكين فلم يكن ليرغب في الخروج بنفسه، ولكن الجو كان عاصفاً جداً ولم أعتقد أنه يستطيع أن يغامر بالخروج آمناً لأني متأكدة من أن ألم الظهر قد أحاط به؛ ولذلك ساعدته في حمل معطفه العظيم وأرسلته إلى الشرفة ليأخذ لنا مسكناً. لا بد أن الآنسة هيوود قد رأت سيارتنا واقفة في الفندق. لقد عرفت الآنسة هيوود منذ اللحظة التي رأيتها أمامي في الأسفل. عزيزي توم، أنا مسرورة جداً لرؤيتك تمشي بشكل جيد دعني أتحسس كاحلك هذا صحيح، جيد جدا ونظيف لقد أثر تلاعب أوتارك قليلاً جداً، بالكاد يمكن ملاحظته. الآن لتفسير وجودي هنا. لقد أخبرتك في رسالتي عن العائلتين الكبيرتين اللتين كنت آمل أن تكونا من الهنود الحمر في الندوة الغربية ."

واقترب السيد باركر بكرسيه من أخته مرة أخرى، وأخذ بيدها بمودة وهو يرد عليها قائلاً: "نعم، نعم، كم كنتِ نشطة ولطيفة"!

"وتابعت قائلة: "إن الهنود الغربيين الذين أعتبرهم أكثر من مرغوب فيهم وأفضلهم من الطيبين هم السيدة غريفيث وعائلتها. انا اعرفهم فقط من خلال الآخرين. لا بد انك سمعتني أذكر الآنسة كابر الصديقة الخاصة لصديقتي

الخاصة جدا فاني نويس. والآن، الآنسة كابر على علاقة حميمة جدا مع السيدة دارلينغ التي هي على علاقة متبادلة مع السيدة غريفيث نفسها .
كما ترين، كما ترين، سلسلة قصيرة فقط بيننا، ولا تنقصنا حلقة واحدة. وقد أرادت السيدة غريفيث أن تذهب إلى البحر من أجل منافعها الصغيرة، وكانت قد استقرت على ساحل ساسكس، ولكنها لم تقرر أين ستذهب إليه، وأرادت شيئاً خاصاً، وكتبت تطلب مشورة صديقتها السيدة دارلينج. وبقيت الآنسة كابر مع السيدة دارلينج عندما وصلها خطاب السيدة غريفيث لتستشيرها في الأمر. فكتبت في اليوم نفسه إلى فاني نويس وأخبرتها بكل شيء؛ فبادرت فاني في الحال إلى حمل قلمها ونقل إليّ الظروف، ما عدا الأسماء - التي لم تتضح إلا مؤخراً. لم يكن أمامي سوى شيء واحد لأفعله. لقد أجبت على رسالة فاني بنفس البريد، وألححت على توصية ساندیتون. كانت فاني تخشى أن لا يكون لديك منزل كبير بما فيه الكفاية لاستيعاب مثل هذه العائلة. لكن يبدو انني سأنقل قصتي إلى ما لا نهاية. يمكنك أن ترى كيف تم تدبير كل شيء. لقد سرني أن أسمع بعد ذلك بفترة وجيزة، وبنفس صلة الوصل البسيطة، أن السيدة دارلينغ قد أوصت بالسيدة ساندیتون وأن الهنود الغربيين كانوا راغبين جداً في الذهاب إلى هناك. كان هذا هو الوضع عندما

كتبت لك. ولكن قبل يومين - نعم، قبل يوم أمس - سمعت مرة أخرى من فاني نويس، تقول أنها سمعت من الآنسة كابر التي فهمت من رسالة من السيدة دارلينغ أن السيدة غريفيث قد عبرت عن نفسها في رسالة إلى السيدة دارلينغ بشكل مضاعف عن موضوع ساندیتون .

هل انا واضحة ؟ افضل ان اكون شيئا غير واضح ".

"أوه، تماما، تماما. حسنا؟"

"والسبب في هذا التردد هو أنها لم تكن لها صلة بالمكان، ولا وسيلة للتأكد من أنها ستحظى بإقامة جيدة عند وصولها؛ وكانت حذرة ودقيقة في كل هذه الأمور أكثر مما كانت حذرة ودقيقة في كل هذه الأمور، وذلك بسبب وجود آنسة لامب شابة - ربما كانت ابنة أختها - تحت رعايتها أكثر مما كانت تحت رعايتها هي أو بناتها. فالآنسة لامب لديها ثروة طائلة، وهي أغنى من البقية، وصحتها حساسة جدا. ويتضح من هذا كله أي نوع من النساء يجب أن تكون عليه السيدة غريفيث: عاجزة وكسولة كما يمكن أن تجعلنا الثروة والمناخ الدافئ. ولكننا لم نولد متساوين في الطاقة. ماذا كان يجب ان نفعل؟ لقد مررت بلحظات من التردد، هل أقترح أن أكتب لك، أو للسيدة ويتبي لأؤمن لهما منزلا؛ ولكن لم يرضني أي منهما. فأنا أكره أن أستخدم غيري حين أكون

قادراً على التصرف بنفسي؛ وكان ضميري يخبرني أن المناسبة تدعوني إلى ذلك. كان هنا عائلة من العاجزين الذين لا حول لهم ولا قوة يمكنني خدمتهم بشكل أساسي. اتصلت بسوزان. خطرت لها نفس الفكرة. لم يجد آرثر صعوبة في ذلك. لقد رتبنا خطتنا على الفور، وغادرنا صباح الأمس في الساعة السادسة، وغادرنا تشيتشيستر في نفس الوقت اليوم، وها نحن أولاء ."

"ممتاز! ممتاز!" صرخ السيد باركر. "ديانا، أنتِ لا مثيل لكِ في خدمة أصدقائكِ وفعل الخير للعالم أجمع. لا أعرف أحداً مثلك. ماري، حبيبتي، أليست مخلوقة رائعة؟ حسناً، والآن، ماهو المنزل الذي تصممينه لترتبطي به؟ ما هو حجم عائلتها؟"

"أجابت أخته: "لا أعرف على الإطلاق، ليس لدي أدنى فكرة، لم أسمع أي تفاصيل؛ لكنني متأكدة جداً أن أكبر منزل في ساندیتون لا يمكن أن يكون بهذا الحجم .

من المرجح أن يرغبوا في منزل ثانٍ. سآخذ واحد فقط، على الرغم من ذلك، وهذا فقط لمدة أسبوع، بالتأكيد. آنسة هيوود، أنا أدهشتك. أنت بالكاد تعرفين ماذا تفعلين بي أرى من نظراتك أنك لست معتادة على مثل هذه التدابير السريعة ".

لقد خطرت في ذهن شارلوت للتو عبارة "لا يمكن تفسيرها!" ولكن الإجابة المتحضرة كانت سهلة .

"فقالت: "أجرؤ على القول بأنني أبدو مندهشة، لأن هذه جهود عظيمة جداً، وأنا أعرف كم أنت وأختك عاجزتان .

"عاجزان بالفعل. لا أعتقد أن هناك ثلاثة أشخاص في إنجلترا لهم الحق في هذه التسمية المحزنة! ولكننا يا عزيزتي الآنسة هيوود، لقد أرسلنا إلى هذا العالم لنكون نافعين بقدر الإمكان، وحيثما وجدنا درجة معينة من قوة العقل، فليس ضعف الجسم هو الذي يعذرنا أو يدفعنا إلى الاعتذار. إن العالم منقسم تقريبًا بين ضعاف العقول والأقوياء؛ بين القادرين على العمل والعاجزين عنه، ومن واجب القادرين المطلق ألا يتركوا فرصة النفع تفلت منهم .

ولحسن الحظ، فإن شكاوى أختي وشكواي ليست في كثير من الأحيان من النوع الذي يهدد الوجود المباشر. وما دام في وسعنا أن نجتهد في أن نكون نافعين للآخرين، فأنا مقتنع بأن الجسم أفضل ما ينعش العقل من القيام بواجبه. وبينما كنت أسافر وأنا أضع هذا الهدف نصب عينيّ، كنت في حالة جيدة تمامًا ."

وقد وضع دخول الأطفال حداً لهذا المديح الصغير على تصرفها الخاص؛ وبعد أن لاحظت الأطفال وداعبهم جميعاً، استعدت للمغادرة.

"هل يمكنك تناول العشاء معنا؟ أليس من الممكن أن تتعشى معنا؟" كانت الصرخة حينها. وبعد أن تم نفي ذلك تمامًا، كانت الصرخة، "ومتى نراكم مرة أخرى؟ وكيف يمكننا أن نخدمكم؟" وقد عرض السيد باركر بحرارة مساعدته في أخذ المنزل للسيدة غريفيث .

قال: "سآتي إليكم حالما أتناول العشاء"، لكن هذا رفض على الفور .

"لا يا عزيزي توم، لن تتدخل تحت أي ظرف من ظروف العالم في أي من أعمالي. كاحلك يريد الراحة. أرى من وضع قدمك أنك قد استخدمتها أكثر من اللازم. كلا، سأتعامل مع منزلي مباشرةً لم يتم طلب عشائنا حتى الساعة السادسة، وبحلول ذلك الوقت آمل أن أكون قد انتهيت منه. إنها الرابعة والنصف الآن أما بالنسبة لرؤيتي مرة أخرى اليوم، لا أستطيع الإجابة عن ذلك. سيكون الآخرون في الفندق طوال المساء وسيسعدني أن أراك في أي وقت؛ ولكن حالما أعود سأفعل ذلك لأسمع ما فعله آرثر بشأن مسكننا، وربما عند انتهاء العشاء سأعود إلى العمل فيما يتعلق به، لأننا نأمل أن

ندخل في مسكن أو غيره ونستقر بعد الإفطار غداً. أنا لا أثق كثيراً بمهارة آرثر المسكين في السكن، ولكن يبدو أنه يحب هذه المهمة ."

"أعتقد أنك تبالغ في ذلك" قال السيد باركر. "ستفقدين نفسك. لا يجب عليك التحرك بعد العشاء ".

"صاحت زوجته: "لا، بالطبع، لا يجب عليك ذلك"، لأن العشاء هو مجرد اسم عندكم جميعاً ولا يمكن أن يفيدكم بشيء. أنا أعرف ما هي شهيتك"."

"أؤكد لكِ أن شهيتي قد صلحت بشكل جيد جداً في الآونة الأخيرة. لقد تناولت بعض المرارة من صنعي، والتي صنعت العجائب. سوزان لا تأكل أبداً، أؤكد لكِ؛ وأنا الآن لا أريد شيئاً. أنا لا آكل أبدا لمدة أسبوع أو نحو ذلك بعد الرحلة .

ولكن كما هو الحال مع آرثر، هو فقط على استعداد لتناول الطعام. نحن مضطرون في كثير من الأحيان للتحقق من ذلك ".

"لكنك لم تخبريني أي شيء عن العائلة الأخرى عندما أتيتِ إلى ساندیتون"، قال السيد باركر وهو يمشي معها خارج باب المنزل. "مدرسة كامبرويل الدينية. هل لدينا فرصة جيدة لهم؟ "

"أوه، بالتأكيد. متأكد تماما. لقد نسيت أمرهم في الوقت الحالي .

ولكنني تلقيت رسالة منذ ثلاثة أيام من صديقي السيد شارل دوبوي الذي أكد لي أن كامبرويل. ستكون كامبرويل بالتأكيد، وقريبا جدا. يا لها من امرأة طيبة - لا أعرف اسمها - فهي ليست غنية ومستقلة مثل السيدة غريفيث، تستطيع أن تسافر وتختار لنفسها. سأخبرك كيف تعرفت عليها. إن السيدة تشارلز دوبوي تسكن بجوار سيدة لها قريب استقر حديثاً في كلافام، وهي في الواقع تحضر في المعهد الديني وتعطي دروساً في البلاغة والخطابة لبعض الفتيات. وقد أخذت هذا الرجل أرنباً من أحد أصدقاء سيدني؛ وقد أوصى هذا الرجل بساندیتون. ولكن بدون ظهوري على أية حال، تدبرت السيدة تشارلز دوبوي كل شيء".

الفصل العاشر

لم يمض أسبوع منذ أن أخبرتها الآنسة ديانا باركر بما كانت تشعر به من مشاعر بأن هواء البحر ربما كان في حالتها الحالية هو سبب وفاتها؛ والآن هي في ساندیتون، تنوي أن تقوم ببعض ما تبقى لها دون أن يبدو عليها أدنى تذكر أنها كتبت أو شعرت بشيء من هذا القبيل. وكان من المستحيل على شارلوت أن تتوهم كثيراً في مثل هذه الحالة الصحية غير العادية .

فقد كانت المتاعب والتعافي من المتاعب والشفاء من الأمور المألوفة التي كانت تبدو أقرب إلى تسلية العقول الجشعة التي تحتاج إلى عمل، منها إلى آلام حقيقية و إغاثة. ولا شك أن عائلة باركر كانت عائلة ذات خيال واسع ومشاعر سريعة، وبينما كان الأخ الأكبر يجد تنفيساً عن فائض إحساسه كجهاز عرض، ربما كانت الأختان مدفوعتين إلى تبديد مشاعرهما في اختراع شكاوى غريبة .

ومن الواضح أن حيويتهما العقلية كلها لم تكن مستخدمة على هذا النحو، بل كان بعض منها يصرف في الحماسة ليكون مفيداً .

وهذا يعني أنهم لا بد أن يكونوا مشغولين جداً لمصلحة الآخرين و إلا كانوا هم أنفسهم مرضى جداً. إن رقة طبيعية في التركيب في الحقيقة، مع ميل مؤسف إلى الطب، ولا سيما الطب الدجال، قد أورثتهم ميلاً مبكراً في أوقات مختلفة، إلى اضطرابات شتى؛ أما بقية معاناتهم فكانت من الهوى وحب التميز وحب العجيب .

وكانت لهم قلوب خيّرة ومشاعر ودودة كثيرة؛ ولكن روح النشاط الذي لا يهدأ، ومجد العمل أكثر من أي شخص آخر، كان لهما نصيب في كل جهد من جهود الخير؛ وكان الغرور في كل ما فعلوه، كما كان في كل ما تحملوه.

وقضى السيد والسيدة باركر معظم الأمسية في الفندق؛ ولكن شارلوت لم تر الآنسة ديانا إلا مرتين أو ثلاثاً وهي تنشر على اللحاف بعد أن كانت قد رأت هذه السيدة التي لم ترها قط، والتي لم توظفها قط. ولم يعرف بها الآخرون إلا في اليوم التالي، حين كانت قد عادت إلى المسكن، وكان الحفل كله يسير على ما يرام، فدعيت هي وأخوها وأختها إلى شرب الشاي معهم .

وكانوا في أحد البيوت الواقعة على الشرفة؛ ووجدتهم قد جهزوا أنفسهم للسهرة في غرفة رسم صغيرة أنيقة، تطل على البحر لو اختاروا ذلك؛ ولكن إذا كان اليوم صيفاً إنجليزياً معتدلاً جداً، فلم تكن هناك نافذة مفتوحة

فحسب، بل كانت الأريكة والمائدة والمنضدة والمكان العام كله في الطرف الآخر من الغرفة بجوار النار الساطعة .

ولم تكن الآنسة باركر، التي تذكرت شارلوت أسنانها الثلاثة التي خلعت في يوم واحد، فاقتربت منها شارلوت بدرجة غريبة من الشفقة المحترمة، لم تكن تختلف كثيراً عن أختها في شخصها أو في أسلوبها، وإن كانت أنحف وأرهقها المرض والدواء، وأكثر استرخاء في الهواء وأكثر خفوتاً في الصوت. غير أنها كانت تتحدث طوال المساء بلا انقطاع مثل ديانا، وباستثناء أنها جلست وفي يدها أملاح، وأخذت قطرات مرتين أو ثلاثاً من إحداها على عدة أمبولات كانت موجودة في البيت على رف الموقد، وتبدت عليها ملامح غريبة وتقلبات كثيرة، لم تكن شارلوت لترى أي أعراض مرض لم تكن لتتعهد، في جرأة منها على صحتها الجيدة، بعلاجها بإطفاء النار وفتح النافذة وإزالة القطرات والأملاح بأي من الوسيلتين. لقد كان لديها فضول كبير لرؤية السيد آرثر باركر؛ وبعد أن ظنته ضئيلاً جداً وهو الشاب الرقيق، وهو أصغر أفراد الأسرة البدينة في الخطى، هالها أن وجدته في طول أخيه تماماً، وأشد بدانة وأوسع قامة وأشد نشاطاً ولا يبدو عليه من مظهر العاجز

غير مظهره الرطب. وما كان لها في جرأتها على صحتها، أن تتولى العلاج بإطفاء النار وفتح النافذة و إزالة القطرات والأملاح بأي من الوسيلتين.

لقد كان لديها فضول كبير لرؤية السيد آرثر باركر؛ وبعد أن تخيلته ضئيلاً جداً، شاباً رقيق الملامح، رقيق الملامح، مادياً أصغر أفراد أسرة قوية، هالها أن وجدته في طول أخيه وأشد منه قامة وأشد منه قوة وعظمة ونشاطاً، وليس له من مظهر العجز غير مظهره الرطب.

مع عدم وجود أي مظهر من مظاهر العاجز سوى بشرة رطبة .

وكان من الواضح أن ديانا كانت رأس الأسرة، وكانت هي المحرك الرئيسي والفاعل الرئيسي. فقد كانت مستيقظة طوال الصباح، سواء في عمل السيدة غريفيث أو عملهما، وكانت دائماً أكثر الثلاثة يقظة. وكانت سوزان قد أشرفت فقط على نقلهم الأخير من الفندق، وجلبت صندوقين ثقيلين بنفسها، وكان آرثر قد وجد الهواء بارداً جداً لدرجة أنه كان يمشي من منزل إلى منزل بكل ما أوتي من رشاقة ويكثر من الجلوس بجانب النار حتى أعدّ لها طعاماً جيداً جداً. أما ديانا، التي كان تمرينها منزلياً للغاية بحيث لا يمكن حسابه، ولكنها لم تجلس مرة واحدة خلال سبع ساعات، فقد اعترفت بأنها كانت متعبة قليلاً. ومع ذلك فقد كانت ناجحة جداً في كل هذا التعب، لأنها لم تكتف بالمشي

والكلام في ألف صعوبة حتى حصلت أخيراً على حق المنزل بثمانية جنيهات في الأسبوع للسيدة غريفيث فحسب، بل إنها عقدت مع الطباخات وربات البيوت والغسالات والحمامات معاهدات كثيرة جداً حتى أن السيدة غريفيث لم يكن لديها ما تفعله عند وصولها سوى أن تلوح بيدها وتجمعهن حولها لتختار منهن. وكان آخر جهد بذلته في هذه القضية، قد كان عبارة عن سطور قليلة مهذبة من المعلومات للسيدة غريفيث نفسها، ولم يكن الوقت يسمح لها بالقيام بقطار المعلومات الملتف الذي كان قد عقد حتى الآن؛ وكانت الآن قد استبد بها السرور لفتح أول خنادق التعارف مع هذا التفريغ القوي من التزام غير متوقع، ولم يكن لدى غريفيث من عمل وصولها أكثر من أن تلوح بيدها وتجمعهن حولها للاختيار. وكان جهدها الأخير في القضية، قد تمثل في بضعة أسطر مهذبة من المعلومات للسيدة غريفيث نفسها، ولم يكن الوقت يسمح بقطار المعلومات التي كانت قد عقدت حتى الآن؛ وكانت الآن قد استبد بها السرور لفتح الخنادق الأولى من التعارف مع هذا التفريغ القوي من التزام غير متوقع، ولم يكن لدى غريفيث من جهدها الأخير في القضية أكثر من أن تلوح بيدها وتجمعهم حولها للاختيار .

وكان السيد والسيدة باركر وشارلوت قد رأيا كرسيي بريد يعبران أسفل الفندق وهما في طريقهما إلى الخارج، وكانا في غاية المرح والتخمين. وكانت الآنسة باركر وآرثر قد رأيا أيضاً شيئاً ما؛ وكانا قد استطاعا أن يميّزا من نافذتهما أن هناك وافداً على الفندق، ولكن ليس مقداره. وقد أجاب زائريهم على كرسيين من الكراسي. هل يمكن أن تكون مدرسة كامبرويل الدينية؟ لا، لا يمكن. لو كانت هناك سيارة ثالثة، ربما كان من الممكن؛ ولكن كان من المتفق عليه عموماً أن كرسيين مأجورين لا يمكن أن يكونا حلقة دراسية. كان السيد باركر واثقا من عائلة جديدة أخرى .

وعندما جلسوا جميعاً أخيراً، بعد حركات قليلة للنظر إلى البحر والفندق، كان مكان شارلوت بجانب آرثر الذي جلس بجانب النار بشيء من السرور الذي كان يعطي قدراً كبيراً من الفضل في كياستها في رغبتها في أن يأخذ كرسيه. ولم يكن هناك ما يدعو إلى الشك في أسلوبه في رفضها، وجلس مرة أخرى بارتياح كبير. وأرجعت كرسيها إلى الوراء لتستفيد من شخصها كساتر لها، وكانت ممتنة جداً لكل شبر من ظهرها وكتفيها بما يتجاوز فكرتها المسبقة. كان آرثر ثقيل العينين كما كان ثقيل الجسم، ولكنه لم يكن بأي حال من الأحوال غير مستعد للكلام؛ وبينما كان الأربعة الآخرون منشغلين معاً

بشكل رئيسي، كان من الواضح أنه لم يشعر بأي ندم لوجود شابة جميلة إلى جانبه، وكانت تطلب في أدب جم بعض الاهتمام - بينما كان أخوه الذي كان يشعر بالحاجة الماسة إلى بعض دوافع العمل، وهو موضوع قوي من مواضيع الحركة بالنسبة له، يراقب بسرور كبير .

وكان تأثير الشباب والفتوة قد بلغ من تأثير الشباب والفتوة أنه بدأ يتذرع بنوع من العذر لإشعال النار .

"قال: (ما كان ينبغي أن يكون لدينا واحدة في البيت، ولكن هواء البحر رطب دائماً. أنا لا أخاف من أي شيء بقدر ما أخاف من الرطوبة ".

"قالت شارلوت: "أنا محظوظة جداً، فأنا لا أعرف أبداً ما إذا كان الهواء رطباً أو جافاً. فهو دائماً له خاصية صحية ومنشطة بالنسبة لي ".

أجاب آرثر: "أنا أيضاً أحب الهواء، كما يمكن لأي شخص أن يحب الهواء".

"أحب كثيراً الوقوف عند نافذة مفتوحة عندما لا يكون هناك رياح. لكن لسوء الحظ، الهواء الرطب لا يعجبني. إنه يصيبني بالروماتيزم. أفترض أنك لا تعاني من الروماتيزم؟ "

"لا على الإطلاق"

"إنها نعمة عظيمة. لكن ربما أنت متوتر؟ "

"لا، لا أعتقد ذلك. لا أعرف إن كنت كذلك ".

"أنا متوترة جداً. لأكون صادقة، فإن العصبية هي أسوأ ما أشكو منه في رأيي. أخواتي يعتقدنني متوترة، لكني أشك في ذلك ".

"لكِ كل الحق في أن تشكي في ذلك ما دمتِ تستطيعين أنا متأكد من ذلك ."

"وتابع قائلاً: "لو كنت مصاباً بالصفراء، كما تعلمين، فإن النبيذ سيؤدي إلى ذلك لا أوافقك الرأي، ولكنه يفيدني دائماً. كلما شربت النبيذ باعتدال كلما تحسنت حالتي. أنا دائمًا ما أكون الأفضل في الحفلات. لو رأيتني قبل العشاء، لكنت ظننتني مخلوقاً فقيراً جداً ".

كانت شارلوت تصدق ذلك. غير أنها احتفظت بوجهها وقالت: "مهما كنت أفهم ما هي الشكاوى العصبية، فإن لدي فكرة ممتازة عن فعالية الهواء والتمرين في علاجها - تمرين يومي منتظم - وأود أن أنصحك بمزيد من ذلك أكثر مما أظن أنك معتادة على تناوله ."

"فأجاب: "أوه، أنا عن نفسي أحب الكثير من التمارين الرياضية، وأنوي أن أمشي كثيراً أثناء وجودي هنا، إذا كان الطقس معتدلاً. سأخرج كل صباح قبل

الفطور وأقوم بعدة جولات على الشرفة، وغالباً ما ستراني في بيت ترافالغار ."

"ولكنك لا تعتبرين المشي إلى منزل ترافالغار تمريناً كبيراً؟ "

"ليس فقط لبعد المسافة، بل لأن التلة شديدة الانحدار !

إن السير على ذلك التل في منتصف النهار سيجعلني أتصبب عرقاً! ستروني جميعكم في حمام عندما أصل إلى هناك! أنا ميال جدًا إلى التعرق، ولا يمكن أن يكون هناك علامة أكيدة على العصبية أكثر من ذلك".

وكانا قد تعمقا الآن في الفيزياء إلى درجة أن شارلوت رأت في دخول الخادم بأغراض الشاي مقاطعة سعيدة جداً. لقد أحدث تغييراً كبيراً وفورياً. فقد ضاع انتباه الشاب على الفور. فقد أخذ الكاكاو من الصينية التي بدت مزودة بأباريق شاي كثيرة بعدد الأشخاص الذين كانوا بصحبته، وكانت الآنسة باركر تشرب نوعاً من الشاي العشبي، والآنسة ديانا نوعاً آخر من الشاي العشبي، ثم التفتت إلى النار تماماً، وجلست تدللها وتطبخها على نحو يرضيها وتحمص بضع شرائح من الخبز الذي أحضرته جاهزة للاستخدام في رف الخبز المحمص - وحتى انتهى كل شيء لم تسمع من صوته شيئاً سوى همهمة بضع عبارات متقطعة من الرضا عن النفس والنجاح .

غير أنه عندما انتهى من عمله، سحب كرسيه إلى الوراء خطاً إلى الوراء بشهامة كالعادة، وأثبت أنه لم يعمل لنفسه فقط بدعوته الصادقة لها لتناول الكاكاو والخبز المحمص. وكانت قد قدمت لها الشاي بالفعل، الأمر الذي أدهشه، فقد كان ملتزماً تماماً بما كان عليه من التزام ذاتي .

قال: "ظننت أنه كان ينبغي أن أكون في الوقت المناسب"، "لكن الكاكاو يتطلب الكثير من الغليان ".

أجابت شارلوت: "أنا ممتنة لك كثيراً". "لكني أفضل الشاي "

قال: "إذن سأساعد نفسي". "طبق كبير من الكاكاو الخفيف كل مساء يناسبني أكثر من أي شيء آخر ."

غير أن ما أدهشها وهي تصب هذا الكاكاو الضعيف نوعاً ما أنه كان يخرج في تيار دقيق جداً داكن اللون؛ وفي نفس اللحظة صاحت شقيقتاها: "أوه يا آرثر، أنت تفهم الكاكاو أقوى وأقوى كل ليلة"، وكان رد آرثر الواعي قليلاً "إنه أقوى مما ينبغي أن يكون الليلة" - أقنعها أن آرثر لم يكن بأي حال من الأحوال مغرماً بالجوع كما قد يشتهيان أو كما كان يشعر هو نفسه. ومن المؤكد أنه كان سعيداً جداً أن ينشغل بالمحادثة التي انتشرت ولم يعد يسمع المزيد من أخواته .

وقال: "أتمنى أن تأكل بعضاً من هذا الخبز المحمص". "أنا نفسي لديّ محمصة خبز جيدة جداً. أنا لا أحرق خبزي المحمص أبدًا، ولا أضعه قريبًا جدًا من النار في المقام الأول. ومع ذلك، كما ترى، ليس هناك زاوية سوى ما هو ذهبي اللون. أتمنى أن تحب الخبز المحمص الجاف

"تقول شارلوت: "مع وضع كمية معقولة من الزبدة عليه، كثيراً، ولكن ليس غير ذلك .

"لم أعد أفعل ذلك بعد الآن"، يقول وهو مسرور للغاية. "نحن نفكر بنفس الطريقة هناك. حتى الآن، بعيدًا عن كونه صحيًا، أعتقد أنه شيء سيء جدًا للمعدة. فبدون القليل من الزبدة لتليينها تؤذي طبقات المعدة. أنا متأكد من ذلك سأتشرف بدهن بعضه لك مباشرةً، ثم سأدهن بعضه لنفسي. سيئ جدًا في الحقيقة لطبقات المعدة، ولكن لا يوجد ما يقنع بعض الناس

إنه يهيج ويعمل مثل مبشرة جوزة الطيب ".

غير أنه لم يتمكن من الحصول على أمر الزبدة، دون مقاومة؛ فقد اتهمه أخواته بالإفراط في الأكل وأعلنوا أنه لا يوثق به، وأصر هو على أنه لم يأكل إلا ما يكفي لتأمين طبقات معدته، و إلى جانب ذلك لم أرده إلا مثل هذه الوسيلة يجب أن تسود. فأخذ الزبدة، ثم تنحى جانباً وهي في دقة في الحكم

على الأقل أسعدت نفسها. ولكن عندما انتهى من خبزه المحمص وأخذ خبزها المحمص في يده، لم تستطع شارلوت أن تتمالك نفسها وهي تراه يراقب أخواته وهو يكشط من الزبدة بقدر ما وضع من الزبدة تقريباً، ثم ينتهز لحظة غريبة ليضيف إليها رشة كبيرة قبل أن يضعها في فمه. ولا ريب أن متعة السيد آرثر باركر في عدم الاستمتاع بالباطل كانت مختلفة تماماً عن أخواته - لم تكن روحانية بأي حال من الأحوال. فقد كان حوله الكثير من الخبث. ولم يكن في وسع شارلوت إلا أن تشك في أنه اتخذ هذا النمط من الحياة أساساً من أجل الاستمتاع بشخصية متساهلة، وأن لا يكون له من المتاعب إلا ما يستدعيه من غرف دافئة وطعام جيد .

غير أنها سرعان ما اكتشفت في إحدى المرات أنه قد التقط منها شيئاً ما. "قال: "ماذا !

"أتغامرين بتناول طبقين من الشاي الأخضر القوي في مساء واحد؟ كم أنتِ متوترة! كم أحسدك .

والآن، لو أنني ابتلعت طبقاً واحداً فقط من هذين الطبقين، فماذا تظن أن يكون تأثيره علي؟

فأجابت شارلوت: "ربما أبقاك مستيقظا طوال الليل"، وقصدت شارلوت أن تهدم محاولاته في المفاجأة بعظمة تصورها الخاص .

"صرخ قائلاً: "أوه، لو كان هذا كل شيء! "كلا، إنه يعمل فيّ كالسم ويزيل فائدته من جانبي الأيمن تماماً قبل أن أبتلعه بخمس دقائق. يبدو الأمر غير معقول تقريباً، ولكنه حدث لي مراراً لدرجة أنني لا أشك في ذلك. لقد زال استخدام جانبي الأيمن تمامًا لعدة ساعات! "الآنسة هيوود.

"فأجابت شارلوت بهدوء: "يبدو الأمر غريباً إلى حد ما بالتأكيد"، ولكنني أجرؤ على القول بأنه سيثبت أنه أبسط شيء في العالم من قبل أولئك الذين درسوا الجوانب المستقيمة والشاي الأخضر وفهموا علمياً وبشكل كامل كل احتمالات عمل كل منهما على الآخر ".

بعد فترة وجيزة من تناول الشاي، وصلت رسالة إلى الآنسة ديانا باركر في الفندق .

قالت: "من السيدة "تشارلز دوبوي"، يد خاصة ."

وبعد أن قرأت بضعة أسطر، صرخت بصوت عالٍ قائلة: "حسناً، هذا أمر غير عادي للغاية! !غير عادي حقاً ان كلاهما يحملان نفس الاسم. سيدتان

غريفيث! إنها رسالة توصية وتعريف بي من سيدة من كامبرويل واسمها غريفيث أيضاً ."

ولكن بعد بضعة أسطر أخرى، اندفع اللون إلى وجنتيها وبكثير من الاضطراب أضافت قائلة: "أغرب ما كان ذلك! والآنسة لامب أيضا !

شابة هندية غربية ذات ثروة كبيرة. ولكن هذا مستحيل أن يكون هو نفسه. مستحيل أن يكون هو نفسه ".

قرأت الرسالة بصوت عالٍ لترتاح. لقد كانت ببساطة لتعريف حاملة الرسالة، السيدة غريفيث من كامبرويل، والفتيات الثلاث اللاتي في رعايتها، للآنسة ديانا باركر. ولما كانت السيدة غريفيث غريبة عن ساندیتون، فقد كانت حريصة على تقديم محترم؛ ولذلك فقد زودتها السيدة تشارلز دوبوي بناء على طلب الصديق الوسيط بهذه الرسالة، وهي تعلم أنها لا تستطيع أن تقدم لعزيزتها ديانا معروفا أكبر من أن تعطيها وسيلة تكون مفيدة لها. "إن عناية السيدة غريفيث الرئيسية هي توفير السكن والراحة لإحدى الفتيات الصغيرات اللاتي تحت رعايتها، وهي الآنسة لامب، وهي شابة هندية غربية ذات ثروة كبيرة وصحة حساسة".

كان الأمر غريبًا للغاية! رائع جداً! غير عادي للغاية !

لكن الجميع كانوا متفقين على استحالة أن تكون هناك عائلتان؛ فمثل هذه المجموعة المتميزة تمامًا من الأشخاص المتورطين في علاقاتهم ببعضهم البعض جعلت هذا الأمر مؤكدًا تمامًا. يجب أن تكون هناك عائلتان. مستحيل أن يكون غير ذلك. وتكررت كلمة "مستحيل" و"مستحيل" بحماس شديد. كان التشابه العرضي في الأسماء والظروف، الذي كان ملفتاً للنظر في البداية، لا يعني شيئاً لا يصدق حقاً؛ وهكذا تم تسوية الأمر .

استمدت الآنسة ديانا نفسها فائدة فورية من مواجهة حيرتها. كان عليها أن تضع شالها على كتفيها وتركض مرة أخرى. وبقدر ما كانت متعبة، كان عليها أن تتوجه فوراً إلى الفندق لتستقصي الحقيقة وتعرض خدماتها.

الفصل الحادي عشر

بين أنه لن. لم يكن كل ما يمكن أن يخبرهم به جنس باركر كله يمكن أن ينتج كارثة أسعد من كارثة عائلة ساري وعائلة كامبرويل، فقد كانت عائلة ساري وعائلة كامبرويل واحدة. أما أغنياء الهنود الغربيين وفتيات المدرسة الدينية فقد دخلوا جميعاً إلى ساندیتون في هذين الكرسيين المأجورين. فالسيدة غريفيث التي جاءت على يد صديقتها السيدة دارلينج ولم تكن متكافئة في الرحلة، هي نفسها السيدة غريفيث التي كانت خططها في نفس الفترة (تحت تمثيل آخر) قد تقررت تماماً (تحت تمثيل آخر) ولم تكن تخشى شيئاً أو تواجه صعوبات .

وكل ما كان يبدو في تقاريرهما من تناقض يمكن أن يعزى إلى الغرور أو الجهل أو الأخطاء الفادحة التي وقع فيها الكثيرون ممن اشتركوا في القضية بيقظة وحصافة الآنسة ديانا باركر. فقد كان يجب أن يكون أصدقاؤها الحميمون غير رسميين مثلها؛ وكان الموضوع يحتوي من الرسائل والمقتطفات والرسائل ما يكفي لجعل كل شيء يبدو على غير ما هو عليه. ربما شعرت الآنسة ديانا ببعض الحرج في البداية لإجبارها على الاعتراف

بخطئها. ولا بد أن رحلة طويلة في هامبشير قامت بها من أجل لا شيء، وأخ خاب أمله، ومنزل باهظ الثمن بين يديها لمدة أسبوع، لا بد أن ذلك كان من انعكاساتها المباشرة؛ ولا بد أن أسوأ من كل شيء آخر كان الشعور بأنها أقل وضوحاً في الرؤية وأقل عصمة مما كانت تعتقد نفسها عليه .

ومع ذلك، لا يبدو أن أي جزء من ذلك قد أزعجها لفترة طويلة. فقد كان هناك الكثير ممن يشاركونها الخزي واللوم لدرجة أنها ربما، بعد أن شاركت السيدة دارلينغ والآنسة كابر وفاني نويس والسيدة تشارلز دوبوي وجارة السيدة تشارلز دوبوي في نصيبها من اللوم، ربما بقي لها القليل من اللوم. على أية حال، فقد شوهدت في الصباح التالي بعد أن تمشي بعد أن تبيت مع السيدة غريفيث في يقظة كما كانت دائما .

وكانت السيدة غريفيث امرأة حسنة التربية وطيبة النفس، وكانت تعول نفسها باستقبال مثل هذه الفتيات والشابات الكبيرات اللاتي كن يرغبن إما في أستاذة لإتمام دراستهن أو في بيت لبدء عروضهن. وكان تحت رعايتها العديد منهن كالثلاثة اللاتي جئن الآن إلى ساندیتون، أما الأخريات فكن جميعاً غائبات .

وكانت الآنسة لامب من بين هؤلاء الثلاث، ومن بينهن جميعاً، أهمهن وأكثرهن قيمة، إذ كانت تدفع ما يتناسب مع ثروتها. وكانت في نحو السابعة عشرة من عمرها، وكانت نصف مولدة، باردة ورقيقة، وكان لها خادمة خاصة بها، وكان لها أفضل غرفة في المسكن، وكانت دائماً ذات أهمية أولى في كل خطة من خطط السيدة غريفيث.

أما الفتاتان الأخريان، وهما آنسات بوفورتس، فقد كانتا من الفتيات الصغيرات اللاتي يمكن أن نلتقي بهن في كل أسرة ثالثة على الأقل في جميع أنحاء المملكة. وكانتا ذوات قوام مقبول، وقوام مبهرج، وهيئة حسنة، ومظهر أنيق؛ وكانتا بارعتين جداً وجاهلتين جداً، وكان وقتهما مقسوماً بين تلك الأعمال التي قد تجذب الإعجاب، وتلك الأعمال والبراعة البارعة التي يمكن أن تتأنق بها في أسلوب يفوق ما كان ينبغي أن تتأنق به؛ وكانتا على يقين من أنهما أول من يطلع على كل تغيير في الموضة. وكان الهدف من كل ذلك هو أن تأسر رجلاً ذا ثروة أفضل بكثير من ثروتها .

وكانت السيدة غريفيث قد فضلت مكاناً صغيراً على التقاعد مثل ساندیتون على حساب الآنسة لامبي؛ أما الآنسة بوفورتس فقد كانت تفضل بطبيعة الحال كل شيء على الضآلة والتقاعد، بعد أن تورطت خلال الربيع في نفقات

لا مفر منها لستة أثواب جديدة لكل منهما في زيارة ثلاثة أيام، فاضطرتا إلى الاكتفاء بساندیتون أيضاً حتى تستعيدا ظروفهما. وهناك، مع استئجار قيثارة لإحداهما وشراء ورق رسم للأخرى، وكل ما أمكنهما طلبه من الزينة بالفعل، أرادتا أن تكونا في غاية الاقتصاد والأناقة والعزلة، مع الأمل، من جانب الآنسة بوفورت في الثناء والشهرة من كل من سار على صوت آلتها، ومن جانب الآنسة ليتيشيا في أن يلقى كل من يقترب منها وهي ترسم الثناء والشهرة؛ ولكليهما عزاء الإحساس بأنهما أكثر الفتيات أناقة في المكان. وكان تقديم السيدة غريفيث للآنسة ديانا باركر قد أكسبهما في الحال معرفة بأسرة بيت ترافالغار وبعائلة دنهام؛ وسرعان ما اكتفت الآنسة بوفورتس بـ (الدائرة التي كانتا تتحركان فيها في ساندیتون) إذا استعملنا عبارة مناسبة، إذ يجب على الجميع الآن أن (يتحركوا في دائرة سائدة ربما يعزى إليها الدوار وتعثر الكثيرين). استخدام عبارة مناسبة، إذ يجب على الجميع الآن أن "يتحركوا في دائرة" نحو السائد الذي ربما تنسب الحركة الدورانية منه الدوخة وعثرات الكثيرين استخدام عبارة مناسبة، إذ يجب على الجميع الآن "التحرك في دائرة سائدة ربما تنسب الحركة الدورانية منها الدوخة وعثرات الكثيرين.

وكان لدى الليدي دنهام دوافع أخرى لاستدعاء السيدة غريفيث إلى جانب اهتمامها بالمقامرين. فقد كان في الآنسة لامبي المرأة الشابة المريضة والغنية التي طلبتها؛ وقد تعرفت عليها من أجل السير إدوارد ومن أجل حميرها الحلوب. أما كيف يمكن أن يجيبها البارونيت على هذا السؤال فقد بقي أن نثبت ذلك، أما بالنسبة للحيوانات فسرعان ما وجدت أن كل حساباتها للربح ستذهب سدى. ولم تكن السيدة غريفيث لتسمح للآنسة لامب أن تظهر عليها أدنى أعراض التدهور أو أي شكوى يمكن أن يخففها اللبن. وكانت الآنسة لامب (تحت الرعاية الدائمة لطبيب متمرس)، ويجب أن تكون وصفاتها الطبية هي القاعدة التي تحكمها. وباستثناء بعض الحبوب المقوية التي كان لابن عمها فيها ملكية، فإن السيدة غريفيث لم تكن تحيد عن صفحة الطب الصارمة .

وكان المنزل الذي يقع في زاوية الشرفة هو ذلك المنزل الذي كان من دواعي سرور الآنسة ديانا باركر أن تستقر فيه صديقاتها الجديدات؛ ونظراً لأنه كان يشرف من الأمام على غرفة الرسم المفضلة لجميع زوار ساندیتون، ومن الجانب الآخر على كل ما يمكن أن يذهب إلى الفندق، فلم يكن هناك مكان أنسب من هذا المكان لعزلة الآنسة بوفورتس. ومن ثم، وقبل أن يهيئوا

أنفسهم بآلة أو بورق رسم، كانوا بتكرار ظهورهم على النوافذ المنخفضة في الطابق العلوي، من أجل إغلاق الستائر، أو فتح الستائر، أو ترتيب إناء من الزهور على الشرفة، أو النظر إلى شيء من خلال منظار ما، قد جذبوا كثيراً من الأنظار إلى أعلى، وجعلوا كثيراً من العيون تنظر مرة أخرى .

إن القليل من الحداثة له تأثير كبير في مثل هذا المكان الصغير .

فالآنسة بوفورتس، التي لم تكن شيئاً مذكوراً في برايتون، لم تكن لتنتقل إلى هنا دون أن يلاحظها أحد. وحتى السيد آرثر باركر، و إن كان متردداً في بذل مجهود زائد، إلا أنه كان دائماً ما يترك المصطبة في طريقه إلى منزل أخيه القريب من هذا المنزل الذي يقع في الزاوية، من أجل أن يلقي نظرة على مس بوفورتس رغم أن المسافة التي كانت تفصله عن منزل أخيه كانت نصف ميل وتضيف درجتين إلى صعود التل.

الفصل الثاني عشر

كانت شارلوت قد أمضت عشرة أيام في ساندیتون دون أن ترى بيت ساندیتون، فقد كانت كل محاولة لزيارة الليدي دنهام قد باءت بالفشل بعد أن قابلتها قبل ذلك. أما الآن فقد كان لابد من القيام بها بحزم أكبر، وفي ساعة مبكرة حتى لا يغيب عن بال الليدي دنهام شيء من الاهتمام بالليدي دنهام أو تسلية شارلوت .

"قال مستر باركر الذي لم يكن ليذهب معهما: (وإذا ما وجدتِ يا حبيبتي فرصة مواتية) قال: (أعتقد أنه من الأفضل أن تذكري حالة مولينز المسكينة وتوصلي إلى سيادتها بشأن الاشتراك لهما. أنا لا أحب الاشتراكات الخيرية في مكان من هذا النوع - فهي نوع من الضريبة على كل من يأتي - ولكن بما أن محنتهم عظيمة جداً وقد وعدت المسكينة بالأمس تقريباً أن أفعل شيئاً من أجلها أعتقد أنه يجب أن نبدأ بالاشتراك، وكلما كان ذلك أسرع كان أفضل؛ واسم الليدي دنهام على رأس القائمة سيكون بداية ضرورية جداً. ألا ترغبين في التحدث إليها بهذا الشأن، ماري؟ "

"أجابت زوجته: "سأفعل أي شيء تحبينه"، ولكن أنتِ سأفعل ما هو أفضل بكثير بنفسك. لن أعرف ماذا أفعل ."

"عزيزتي ماري"، "من المستحيل أن تكوني في حيرة من أمرك. لا شيء يمكن أن يكون أبسط من ذلك. ما عليك إلا أن تصرحي لي عن وضع العائلة المنكوب في الوقت الحاضر، وطلبهم الجاد إلي، واستعدادي للترويج لاكتتاب صغير لإغاثتهم، شريطة أن يلقى قبولاً ."

"أسهل شيء في العالم"، صاحت الآنسة ديانا باركر، التي اتضح أنها كانت تتصل بهم في هذه اللحظة. "لقد قيل كل شيء وتم في وقت أقل مما كنت تتحدث عنه الآن .

وبينما أنت في موضوع الاشتراكات يا ماري، أشكرك يا ماري لأنك ذكرت لي الليدي دنهام حالة محزنة جداً مثلتها لي بأكثر العبارات تأثيراً. هناك امرأة مسكينة في ورسيسترشاير، بعض أصدقائي مهتمون بها جدا، وقد تعهدت بجمع كل ما أستطيع جمعه لها. إذا ذكرت هذا الظرف للسيدة دنهام! الليدي دنهام يمكنها أن تعطي، إذا هوجمت بشكل صحيح. وانا أعتبرها من النوع الذي بمجرد أن يتم إقناعها بتفريغ محفظتها من المال، فإن المرء سيعطيها بسهولة عشرة جنيهات كما يعطيها خمسة. وهكذا، إذا وجدتها في مزاج

يسمح لها بالعطاء، فيمكنك أن تتكلم عن جمعية خيرية أخرى أنا وبعض الآخرين الذين نحملها في قلوبنا الكثير من الاهتمام، وهي إقامة استفتاء خيري في بورتون أون ترينت. ثم هناك العائلة المسكينة التي شُنقت في آخر محاكمات في يورك وقد جمعنا بالفعل المبلغ الذي نريده لإخراجهم جميعاً، ولكن إن استطعت أن تحصل على جنيه من ذلك نيابة عنهم فربما كان ذلك ممكناً". صاحت السيدة باركر: "عزيزتي ديانا!" "لم أعد أستطيع أن أذكر للسيدة دنهام تلك الأشياء التي لم أستطع سرقتها ".

"ماهي الصعوبة؟ أتمنى لو أستطيع المجيء معك بنفسي. ولكن بعد خمس دقائق يجب ان اكون عند السيدة غريفيث لأشجع الآنسة لامب وهي تستحم لأول مرة. إنها خائفة جدا، مسكينة، وقد وعدتها أن آتي وأرفع من معنوياتها، وأن أذهب معها إلى الآلة إذا رغبت في ذلك .

وحالما ينتهي الأمر، يجب أن أعود بسرعة لأن سوزان يجب أن تحصل على العلق بحلول الساعة الثالثة. لذا ليس لدي وقت فراغ .

إلى جانب ذلك، بيننا، يجب أن أكون في السرير في هذه اللحظة، لأني بالكاد أستطيع الوقوف؛ وعندما ينتهي العلق، أجرؤ على القول بأننا سنذهب كلانا إلى غرفنا لبقية اليوم ."

"يؤسفني جدا سماع ذلك. ولكن إذا كان الأمر كذلك، أتمنى أن يأتي آرثر إلينا ".

"إذا أخذ آرثر بنصيحتي فسيذهب للنوم أيضا، لأنه إن بقي لوحده سيأكل ويشرب أكثر مما يجب بالتأكيد .

ولكنك ترين يا "ماري"، كم هو مستحيل بالنسبة لي أن أذهب بكِ للسيدة "دنهام"." قال زوجها: "على الشكوك يا ماري". "لن أزعجك بالحديث عن عائلة مولينز. سأنتهز الفرصة لأرى الليدي دنهام بنفسي أنا أعلم كم هو غير مناسب لك أن تلح على عقلية غير راغبة على الإطلاق ."

وهكذا سحب طلبه على هذا النحو، ولم يكن في وسع أخته أن تقول أكثر من ذلك تأييداً لطلبها، وهو ما كان غرضه هو، إذ كان يشعر بكل ما في ذلك من عدم لياقة وبكل ما في ذلك من أثر سيئ على ما كان يدعيه من خير. وكانت السيدة باركر مسرورة بهذا الإعفاء، وذهبت مع صديقتها وابنتها الصغيرة في تلك المسيرة إلى بيت ساندیتون .

وكان صباحاً ضبابياً متقارباً، وعندما وصلا إلى قمة التل لم يستطيعا لبعض الوقت أن يحددا نوع العربة التي رأياها تصعد .

فبدا لهم في أوقات مختلفة أنها كل شيء من عربة صغيرة إلى عربة "فايتون"، ومن حصان إلى عربة رباعية؛ وبينما كانوا يستنتجون أنها عربة ترادفية ميزت عينا ماري الصغيرة الحوذي ونادت بلهفة: "إنه العم سيدني يا ماما، إنه هو". وهذا ما حدث .

وسرعان ما كان السيد سيدني باركر، الذي كان يقود خادمه في عربة أنيقة جداً، أمامهم، وتوقفوا جميعاً لبضع دقائق. وكانت أخلاق آل باركر دائماً لطيفة فيما بينهم؛ وكان اللقاء ودياً جداً بين سيدني وزوجة أخيه التي تلطفت في أن تعرف أنه في طريقه إلى بيت ترافالغار. لكنه رفض. لقد كان (قادماً لتوه من إيستبورن مقترحاً أن يقضي يومين أو ثلاثة، كما قد يحدث، في ساندیتون) ولكن الفندق يجب أن يكون مقر إقامته. كان يتوقع أن ينضم إليه صديق أو اثنين.

أما الباقي فكان استفسارات وملاحظات روتينية، مع ملاحظة لطيفة عن ماري الصغيرة، وانحناءة مهذبة جداً ومخاطبة الآنسة هيوود باسمه الخاص. وافترقوا ليلتقوا مرة أخرى بعد ساعات قليلة. وكان سيدني باركر في نحو السابعة أو الثامنة والعشرين من عمره، وكان وسيماً جداً، ذا حسن، وجاذبية في المظهر، ووجه متأنق. كان هذا الأمر حديثا لطيفا لفترة من الوقت. وأدخلت

السيدة باركر في ذلك كل فرحة الزوج بالمناسبة وابتهجت بالفضل الذي سيعطيه وصول سيدني للمكان .

كان الطريق من منزل ساندیتون عريضاً وجميلاً ومزروعا بين الحقول، ويؤدي في نهاية ربع ميل من خلال بوابات ثانية إلى أراضٍ و إن لم تكن واسعة إلا أنها كانت تتمتع بكل الجمال والاحترام الذي يمكن أن تمنحه وفرة الأخشاب الجميلة جداً. وكانت بوابات الدخول هذه تقع في ركن من أركان الأرض أو الحقل، بالقرب من أحد حدودها، حتى أن السور الخارجي كان في البداية يكاد يكون محشوراً في الطريق، إلى أن أزاحت زاوية هنا وانحناءة هناك إلى مسافة أفضل. كان السور حديقة حقيقية باهتة في حالة ممتازة، وكانت مجموعات من أشجار الدردار الجميلة أو صفوف من الأشواك القديمة تتبع خطه في كل مكان تقريباً .

وكان لا بد من اشتراط ذلك تقريباً، لأنه كانت هناك مساحات شاغرة، ومن خلال إحداها لمحت شارلوت بمجرد دخولهما السور شيئاً شاحباً أبيض وأنثى في الحقل على الجانب الآخر. وكان ذلك الشيء قد استحضر في الحال الآنسة بريتون إلى ذهنها؛ ورأت الشاحب بالفعل وبكل تأكيد، على الرغم من الضباب، الآنسة بريتون جالسة غير بعيد أمامها عند سفح الضفة التي

تنحدر من خارج السور الذي بدا لها أن الطريق الضيق يتخطاها - الآنسة بريتون جالسة ويبدو عليها الهدوء الشديد - والسير إدوارد دنهام إلى جانبها. وكانتا تجلسان على مقربة من بعضهما البعض وتبدوان منخرطتين في حديث لطيف لدرجة أن شارلوت شعرت على الفور أنه ليس أمامها ما تفعله سوى أن تتراجع ولا تنبس ببنت شفة. كانت الخصوصية هي هدفهما بالتأكيد. ولم يكن في وسعها إلا أن تضربها بشكل غير مواتٍ عندما يتعلق الأمر بكلارا؛ ولكن موقفها كان موقفاً لا يمكن الحكم عليه بقسوة .

كانت سعيدة عندما وجدت أن السيدة باركر لم تلاحظ شيئاً. ولو لم تكن شارلوت أكبرهما حجماً إلى حد كبير، لما سقطت شرائط الآنسة بريتون البيضاء من عينيها الأكثر انتباهاً. ومن بين نقاط التأملات الأخرى التي أثارها منظر هذه الحفلة، لم تستطع شارلوت إلا أن تفكر في الصعوبة البالغة التي يجب أن يجد فيها العشاق السريون مكاناً مناسباً لمقابلاتهم الهاربة. فهنا ربما ظنوا أنفسهم محميون تماماً من المراقبة؛ فالميدان كله مفتوح أمامهم، والضفة التي لا تقطعها أقدام الرجل الذي يقف خلفهم لا يمكن أن يعبرها رجل، والهواء الكثيف يساعدهم أيضاً! ومع ذلك فقد رأتهم هنا. لقد أسيء استخدامهم حقًا .

كان المنزل كبيراً وجميلاً. ويبدو أن خادمين كانا يعترفان به لأنفسهما، وكان كل شيء فيه له جو مناسب من الملكية والنظام؛ وكانت الليدي دنهام تقدر نفسها على مؤسستها المترفة وتسر كثيراً بنظامها وأهمية أسلوب حياتها. وكانا في غرفة الرسم المعتادة، وكانت غرفة الرسم متناسقة التجهيزات ومفروشة تأثيثاً جيداً، وإن كان أثاثها الأصلي جيداً ومعتنى به إلى أبعد الحدود وليس جديداً أو مبهرجاً. وبما أن الليدي دنهام لم تكن موجودة، فقد كان لدى شارلوت وقت فراغ للنظر إليها، وأخبرتها السيدة باركر أن صورة الرجل المهيب التي كانت موضوعة على رف الموقد، والتي جذبت الانتباه في الحال، هي صورة السير هنري دنهام؛ وأن واحدة من بين العديد من المنمنمات في جزء آخر غير واضح من الغرفة، كانت تمثل السيد. وكان من المستحيل أن لا يشعر المرء بأنه لا يكاد يشعر بأنه مستعمل: أن يضطر المرء إلى الوقوف في بيته ليرى المكان الأفضل بجوار النار يحتله السير هاري دنهام باستمرار.

نهاية ساندیتون (رواية غير مكتملة لجين أوستن)

اشتدّ المرض على جين أوستن وتوقفت عن الكتابة إلى أن توفيت بعد أربعة أشهر

استودعتكم الله.